مجلة شهرية

Issue No: 180 عدد:

August 2022 شهر آب

نـــــــور يسوع المسيح المســـيـــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

التجلّي الإلهي

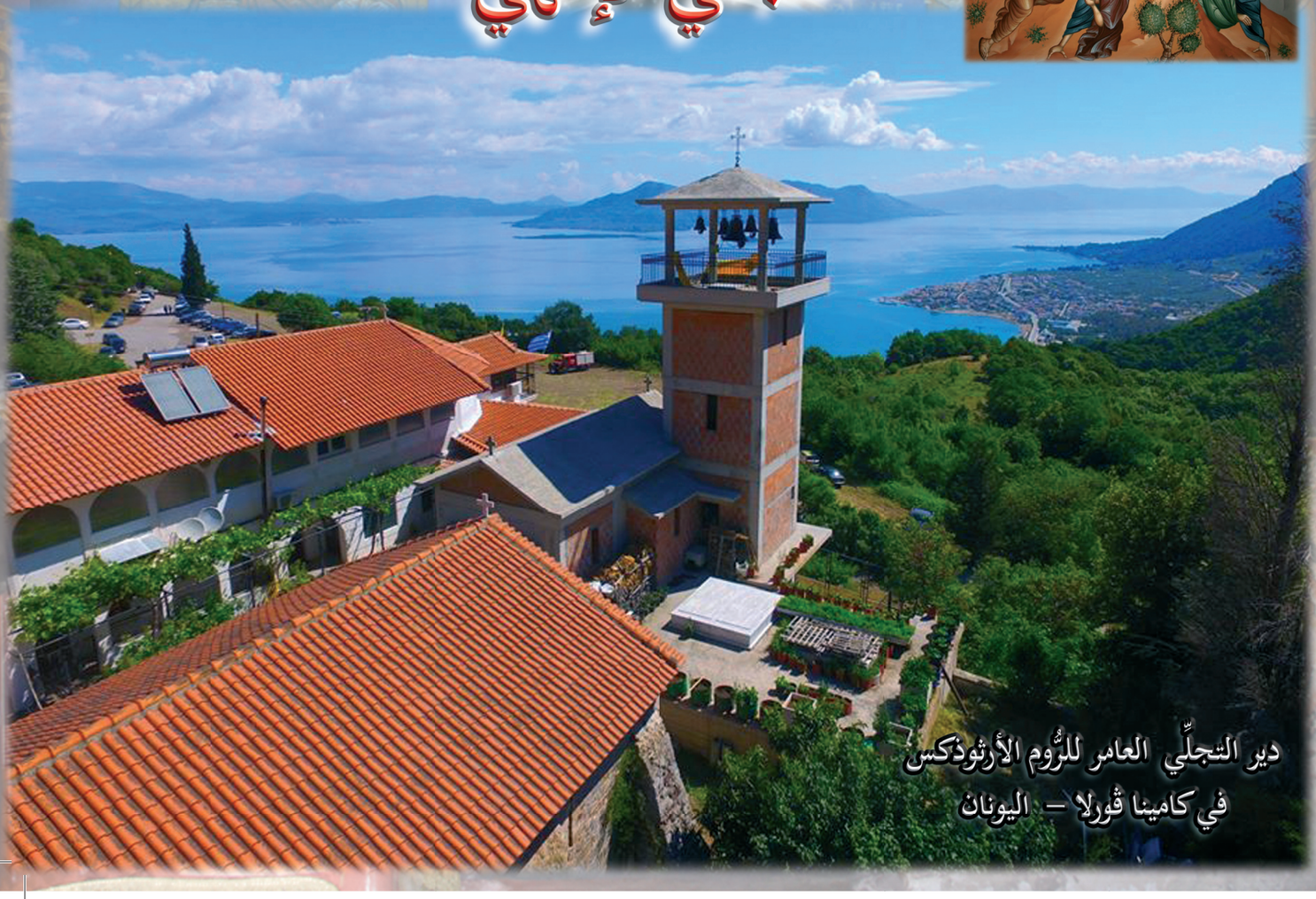

دير التجلّي العامر للرُّوم الأرثوذكس

في كامينا ڤورلا – اليونان

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد تجلي ربنا ومخلصنا يسوع المسيح على جبل طابور ١٩-٨-٢٠٢١

« وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.» (متى ١٧: ١-٢)

أَيُّها الإخوة المحبوبون في المسيح،
أَيُّها المسيحيُّون الأتقياء،

إنَّ **نعمة مخلصنا المسيح** قد جمعتنا على جبل طابور المرتفع لكي نُعيِّد للحدث العجيب العظيم **لمحبة الله الآب** التي لا تُحدُّ لجنس البشر والتي هي **تجلِّي يسوع** أمام تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا وأيضًا أمام النبيَّين موسى وإيليا وقد كان هذا الحدث قبل أربعين يومًا من **آلام صلب ربنا يسوع المسيح**.

لقد أراد بطرس الرسول أَنْ يُبرْهِن ويؤكِّد تعليمه حول **المسيح** الذي كان يَكرِزُ ويُبشِّر به الرسل، وأَنَّ هذا التعليم وهذه الكرازة مُؤَسَّسةٌ ومُستندةٌ لا على أفكار واختراعات بشريَّة، بل على تجربته وخبرته الشخصيَّة، إذ يورد شهادَتَهُ الصادقة التي لا جدل فيها عن حضوره على جبل طابور العالي إذ يقول: «أَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ. وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ.» (٢ بط ١: ١٦-١٨).

عند **تجلِّي المسيح** على جبل طابور كَشَف وَعَرَّفَ تلاميذه:

أولًا: قوَّته التي قَبِلَهَا «التلاميذ» **من الله الآب عبر مجد ابنه الوحيد**، إنَّ هذا المجد ليس هو إلَّا **القوَّة والفعل غير المخلوق للنور الإلهي** الذي لا يُسْبَر غوره «الله نورٌ» (١ يوحنا ١:٥)، ويكرز الإنجيلي يوحنا بما **يقوله الرَّبّ**: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ.» (يوحنا ٨:١٢). إنَّ هذه الحقيقة يؤكِّدها لاهوتيًّا وبوضوح مُرنِّم الكنيسة قائلًا: «إِنَّنَا بنورك الذي ظهر اليوم على تابور. أيُّها الكلمة النور الذي لا يستحيل. المولود من الآب نور غير المولود. رأينا الآب النور والرُّوح القُدُس النور الذي ينير الخليقة كلها.»

ثانيًا: لقد عرَّفَ **الرَّبّ** تلاميذه عن مجيئه وهذا يعني أَنَّ **تجلِّي يسوع المسيح** على الجبل العالي يشكل تَذَوُّقًا مُسْبَقًا ملموسًا ومرئيًّا **لمجد ملكوت الله** العتيد أَنْ يكون كما يُؤكِّد ويُعبِّر عنه بوضوح المرنِّم قائلًا: «لقد تجلَّيت يا مخلص على جبل طابور. لكي تُشير إلى الحالة التي يصير إليها الناس في مجيئك الثاني المجيد الرهيب.»، وبتوضيح أكثر لقد تجلَّيت أيها **المسيح** على جبل طابور لكي تبرهن وتؤكد مجدك المنتظر في حضورك الثاني الرهيب وإلى التحول الذي سيصير للمؤمنين والمسيحيين الأتقياء في المجد الأبدي.

لقد عَرَّفنا الرُسلُ القديسون الإنجيليون في **تجلِّي المسيح** قوَّة ومجيء **ربنا يسوع المسيح** والتي بشكلٍ رئيسيّ كانت من أجل تقوية وتشديد إيمان التلاميذ بأَنَّ **يسوع المسيح** كما شَهِدَ لَهُ «صَوْتُ الآبِ مِنَ السَّحَابَةِ يقول: هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا» (متى ١٧: ٥) ، وهذه الحقيقة نسمعها أيضًا من مرنِّم الكنيسة: « لقد تجلَّيت أيُّها المسيح الإله على الجبل. فعاين تلاميذك مجدك حسبما آستطاعوا. حتى أنَّهم متى أبصروك مصلوبًا أدركوا أَنَّ موتك طوعيٌّ باختيارك. وكرزوا للعالم بأنك أنت شعاع الآب حقًّا.» (القنداق).

إنَّ **مجد المسيح** الذي عاينه تلاميذه يتذوقه ويستمتع به جميع القديسين الذين كُتبت أسماؤُهم في الوطن السماوي أي «كَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ.» (عبرانيين ١٢: ٢٣)

وكما يقول **الرَّبّ** سَيتذَوَّق **مجد المسيح** الأتقياءُ والمسيحيُّون الأبرارُ في **ملكوت الله**.«حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ.» (متى ١٣: ٤٣). لقد أصبح معاينًا **لمجد المسيح** «اسْتِفَانُوسُ، الرَّجُلُ الْمَمْلُوءُ مِنَ الإِيمَانِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (أعمال ٦:٥)؛ الذي «شَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ.» (أعمال ٧:٥٥)، وأمَّا الرسول بولس فيعظ جميع الذين يحيون في **المسيح** أَنْ يعكسوا **مجد الرَّبّ** قائلًا: « وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢ كورنثوس ٣ :١٨).

ويفسِّر القديس يوحنا الذهبي الفم هذه الأقوال قائلًا: تمامًا كما لو تمَّ توجيه الفضة النقيَّة نحو أشعة الشمس، فإنَّها نفسها ستُطلق أيضًا أشعة، هكذا تتطهر نفس «الإنسان» وتصبح أكثر إشراقًا من الفضة، إذ تأخذُ شعاعًا من مجد الرُّوح القُدُس وتُرسله.

وبكلام آخر أيُّها الإخوة الأحبة فنحن مدعوون لِأَنْ نحيا بحسب **المسيح** أي أَنْ نشارك بالفعل في حياة الكنيسة بأسرارها الإلهيَّة كأعضاء مؤمنين أصيلين لجسد الكنيسة، أي **المسيح** كما يقول المزمور: «ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ.» (مزمور ٤٩: ٢٣)، وهذا يعني أنَّه فقط في التقوى الصادقة يكمن طريق الخلاص أي تجلِّينا في **المسيح**.

ختامًا نتضرع إلى **مخلصنا يسوع المسيح** الذي تجلَّى هٰهنا على جبل طابور لكي **بشفاعات والدة الإله الدائمة البتولية مريم** أَنْ يُشرق لنا نحن الخطأة نوره الأزلي وأَنْ نحظى بتجلِّينا، آمين.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: « أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي.» (يو 14: 6).

**« أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ
يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.» (رؤ 1: 8).**

«مَوْعِدَ الآبِ»: تفسير للقديس كيرلُّس الإسكندري

بعد **قيامة الرَّبّ يسوع من بين الأموات**، كانَ **الرَّبُّ القائم** يظهر لتلاميذه في العُلِّيَّة، ومكتوبٌ في سِفْر أعمال الرسل أَنَّهُ: «أَرَاهُمْ أَيْضاً نَفْسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ. وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا **مَوْعِدَ الآبِ** الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي» (أع ١: ٣،٤).

وكانَ **الرَّبُّ يسوع** قد «أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ» (أع ١: ٢)، إذ قال لهم: «وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لو ٢٤: ٤٩).

وقد رَبَط إنجيل القديس يوحنا ما بين **صَلْب الرَّبّ يسوع وقيامته** من بين الأموات **وصعوده إلى السموات**، وبين انسكاب **الرُّوح القُدُس** على المؤمنين به، إذ بعدما نادَى **الرَّبّ** قائلًا: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ»؛ علَّق القديس يوحنا في إنجيله: «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ» (يو ٧: ٣٧-٣٩).

† **ويُعلِّق القديس كيرلُّس الكبير على «أنهار الماء الحي»، قائلًا:**

﴿(**الرَّبُّ**) يُظهِر أَنَّ مجازاة الإيمان عظيمة وبلا نهاية، ويقول إنَّ مَن يؤمن سيَنْعَم بأغنى نِعَم **الله**، لأنَّه سيمتلئ بعطايا **الرُّوح القُدُس**، فلا يُسمِّن (أي يُغني) ذهنه فقط، بل يصبح قادرًا أيضًا على أنْ يفيض على قلوب الآخرين، كَتَيَّارِ ٱلنهر ٱلمُتدفِّق الذي يفيض بالخير المُعطَى من **اللهِ** على جاره أيضًا...

ويمكن للمرءِ أنْ يرى ذلك، وبشكلٍ مُتزايد جدًّا في كلٍّ من الإنجيليِّين القدِّيسين، وفي المُعلِّمين الإنجيليِّين في الكنيسة، الذين يفيضون بغنًى على مَن يأتون إلى **المسيح** بالإيمان، بكلمة التعليم المُوحَى به، فيُفرِّحونهم روحيًّا، ولا يجعلونهم بعد عَطشَى إلى معرفة

الحقِّ، وبأصواتهم الحكيمة، يصيحون عاليًا في قلب أولئك الذين قد تهذَّبوا بالتعليم ...

إذن، مِن الواضح جدًّا أنَّ **المُخلِّص** يقول إنَّه: «من بطن الذي يؤمن (بي) ستأتي النعمة التي تُعطَى **بالرُّوح القُدُس**»﴾

(**القديس كيرلُّس : شرح إنجيل يوحنا، المجلَّد الأول، يو ٧: ٣٨.**)

† **ويستطرد القديس كيرلُّس الكبير في شرحه عن الرُّوح القُدُس، قائلًا:**

﴿كيف أنَّ «الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ»؟... فإنَّ هذا الكائن الحيّ العاقل على الأرض، أعني الإنسان، قد خُلِقَ منذ البدء في عدم فساد. وكان السبب في عدم فساده وفي بقائه في كلِّ فضيلة، هو على وجه اليقين أنَّ **روح الله** كان يسكن فيه، لأنَّ (**الله**) «نَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ»، كما هو مكتوب في (تك ٢: ٧). لكنه، وبسبب تلك **الخدعة القديمة، قد انحرف إلى الخطية**، ثم تتابَع تدريجيًّا في الغلوّ في هذه الأمور، ورغم ما تبقَّى لديه من أمورٍ صالحة عانَى من فقدان **الرُّوح القُدُس**. وفي النهاية أصبح خاضعًا، ليس فقط **للفساد**، بل عُرْضة أيضًا **لكل الخطايا**.

لكن حينما قَصَدَ خالق الجميع أنْ «يَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ» (أف ١: ١٠)، وأراد أنْ يستعيد من جديد طبيعة الإنسان إلى حالتها الأولى، وَوَعَدَ أنْ يُعطيها **الرُّوح القُدُس** من جديد أيضًا مع المواعيد الأخرى...؛ فقد بَدَأ **الله الآب** يُعطي **الرُّوح** من جديد، وكان **المسيح** أول مَن قَبِلَ **الرُّوح القُدُس**، كباكورة **الطبيعة المُتجدِّدة**، لأن يوحنا (المعمدان) شَهِدَ قائلًا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ» (يو ١: ٣٢)﴾

(**القديس كيرلُّس: شرح إنجيل يوحنا، المجلَّد الأول، يو ٧: ٣٩.**)

لكن **الرُّوح القُدُس** هو **الأقنوم الثالث من الثالوث القُدُّوس**، وهو **مساوٍ للآب والابن في الجوهر الواحد**. ونَعْلَم أنَّه عندما **بُشِّرَت العذراء مريم** بالحَبَل **بمُخلِّص** العالم، أجابها الملاك المُبشِّر: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ» (لو ١: ٣٥). وهنا يَرُدُّ **القديس كيرلُّس الكبير** على هذا التساؤل الذي يدور في خَلَد البعض: «**كيف قَبِلَ المسيحُ الرُّوحَ القُدُسَ**»؟ قائلًا:

﴿يجب (علينا) أنْ نفحص ما يُقال. هل كان **المسيح** (**كإلهٍ**) كأنه بغير **رُوح**؟ لا نقول ذلك، حاشا لله! لأنَّ **الرُّوح القُدُس** هو **روح الابن الذَّاتي** (**أو الأزَلي**)، ولا يُعطَى له من خارجه، كما تأتينا نحن أمور **الله** من الخارج؛ بل **الرُّوح القُدُس** كائنٌ فيه بالطبيعة تمامًا كما هو في **الآب**. **وبواسطة الابن يأتي الرُّوح القُدُس** إلى القدِّيسين، **ويُوزَّع من الآب** كما يوافق كُلّ واحد. ولكن قيل عن **المسيح** إنَّهُ قَبِلَ **الرُّوح** لأنه صار إنسانًا، ويُوافق الإنسان أنْ يأخذ. وهو (في نفس الوقت) **ابْنُ اللهِ الآب، مولودٌ من جوهرهِ من قَبْلِ التجسُّد، بَلْ قَبْلَ كُلِّ الدهور**. فليس عيبًا أنْ يقول **الله الآب للابن** الذي صار إنسانًا: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (مز ٢: ٧)، لأنَّ ذلك الذي هو **الله قبل الدهور** قد وُلِدَ منه (أي أنَّ **ابن الله** قد وُلِدَ من **الله الآب** قبل كُلِّ الدهور)، ولذلك يقول: إنّه وَلَدَه في هذا اليوم، حيث يُدخِلنا فيه إلى البُنوَّة، لأنَّ الطبيعة البشريَّة كلُّها كانت في **المسيح**، إذْ أنَّه صار إنسانًا. لهذا قال **الآب للابن – الذي له روحه الذَّاتي** (**الأزَلي**) – **إنَّه يُعطيه الرُّوح القُدُس**، حتى يمكننا أن ننال الرُّوح فيه هو﴾.

(**القديس كيرلُّس: شرح إنجيل يوحنا، المجلَّد الأول، يو ٧: ٣٩.**)

«إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُم المُعزِّي» (يوحنا ١٦: ٧):

مِنَ البَيِّن أنَّ تدبير الخلاص الذي أكمَلَهُ **الرَّبّ يسوع بتجسُّده، وصَلْبه، وقيامته** مِن بين الأموات، **وصعوده إلى السموات**؛ قد ظهرت ثمارُه المُبارَكة أوَّلًا في **ناسوت الرَّبّ** الذي اتَّحد به اتِّحادًا أقنوميًّا. وبالتالي لا يمكن أنْ تنتقل إلينا، كبشرٍ – بصفةٍ عامة – هذه الثمار الخلاصيَّة إلَّا بواسطة **الرُّوح القُدُس** الذي يأخذ مِمَّا **للمسيح** ويُخبرنا ويَهَبنا (يو ١٦: ١٤، ١٥).

† **ويشرح القديس كيرلُّس الكبير انسكاب الرُّوح القُدُس على البشريَّة، بهذه الكلمات:**

﴿إنَّ **المسيح** لم يقبل **الرُّوح** لأجلِ نفسهِ، بل بالأحرى لأجلنا نحن (البشر) فيه، لأنَّ كلَّ الصالحات تفيض أيضًا فينا بواسطَتِهِ. لأنَّه إذْ قد **حَادَ جدُّنا آدم بالخديعة، فسقط في العصيان والخطيَّة**، ولم يحفظ نعمة **الرُّوح القُدُس**؛ هكذا فَقَدَت الطبيعة البشريَّة كلُّها فيه (**أي في آدم**) الخير المُعطَى لها مِن **الله**. لهذا لَزِمَ أنَّ **الله الكلمة** غير المُتحوِّل أنْ يصير إنسانًا، حتى إذا ما نال – كإنسانٍ – (**الرُّوح القُدُس**)، يمكنه أنْ يحفظ الصلاح في طبيعتنا على الدوام... لهذا صار **الابن الوحيد** إنسانًا مثلنا، حتى تعود فيه هو أوَّلًا (**أي في ناسوتِهِ المُتَّحد بلاهوته**) الصالحات ونعمة **الرُّوح القُدُس** ، وتكون متأصِّلة فيه، فتُحْفَظ في أمانٍ لطبيعتنا (البشريَّة) كلِّها...

وإنْ فحصتم عن السبب في أنَّ سَكْب **الرُّوح القُدُس** قد تمَّ بعد **القيامة** وليس قبلها، ستسمعون الإجابة: إنَّ **المسيح** قد صار وقتئذٍ باكورة الطبيعة الجديدة، حينما أَبْطَلَ قيود الموت وقام ثانيةً («وله كل طبيعتنا في ذاته، إذ أنَّهُ صارَ إنسانًا وواحدًا منَّا»). وينبغي إذَنْ، لأولئك الذين جاءوا بعده أنْ يَحْيَوْا مثل الباكورة، لأنَّهُ كما أنَّ النبات لا يُزهِر، إنْ لم يكُن له جذره الخاص بِهِ، والذي عن طريقه يتغذَّى وينمُو؛ كذلك كانَ مِنَ المستحيل أنَّنَا نهلك، إذْ لنا **ربَّنا يسوع المسيح** جذْرُ عدم فسادنا... والآن إذْ ظَهَرَ أنَّ وقت حلول **الرُّوح القُدُس** علينا كانَ قد جَاءَ، **بعد القيامة** من الموتِ، فنراه (**أي الرَّبّ يسوع القائم**) وقد نَفَخَ في تلاميذه، قائلًا: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (يوحنا ٢٠: ٢٢)، إذ كان زمن التجديد حقًّا على الأبواب حينذاك ...

لأنَّهُ في البدءِ، كما قال الناموس – **المتسربل بالرُّوح** – إنَّ **خالق** الجميع، إذْ أَخَذَ مِنْ تراب الأرض وخلق الإنسان، «نَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ» (تك ٢: ٧). وما هي **نسمة الحياة**! سوى أنَّها بالتأكيد **رُوح المسيح** الذي يقول: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١١: ٢٥). لكن حيث إنَّ **الرُّوح القُدُس** القادر أنْ يجمعنا ويُشكِّلنا إلى الرسم

الإلٰهي (أي إلى صورةِ **الله** التي جُبِلْنا عليها، والتي تشوَّهت مِنْ جراءِ عصيان وصيَّة **الله**)، قد غادر الطبيعة البشريَّة؛ فإنَّ المُخلِّص يُعطينا هذا **الرُّوح** مِنْ جديد، ليأتي بنا – مرَّةً أخرى – إلى الكرامةِ القديمةِ مُجَدِّدًا خِلْقَتَنا إلى **صورتِهِ الذاتيَّةِ**. لهذا يقول بولس الرسول أيضًا: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غل ٤: ١٩)﴾.

(القديس كيرلُّس: شرح إنجيل يوحنا، المجلَّد الأول، يو ٧: ٣٩).

«روح الحقّ... يُرشدكم إلى جميع الحقّ» (يوحنا ١٦: ١٣):

كان لا يمكن أَنْ يُدْرِكَ التلاميذ، ومِنْ بعدهِم المؤمنون **بالرَّبِّ يسوع**، أسرار تدبير الخلاص، والأشياء الموهوبة لنا مِنَ **الله ابن الله المُتجسِّد؛** إلَّا بواسطة **الرُّوح القُدُس** الذي وَعَدَنا **الرَّبّ يسوع** بأنَّهُ «المُعزِّي الذي يَمْكُثُ مَعَنَا إِلَى الأَبَدِ» (يو١٤: ١٦). وكما قال إنجيل القديس يوحنا: إنَّ انسكاب **الرُّوح القُدُس** مرهونٌ بتمجيد **الرَّبِّ يسوع**، **بِصَلْبِهِ وقيامته** من بين الأموات، ثُمَّ **صعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين الآب.**

فالتلاميذ، ونحن المؤمنين معهم، في حاجةٍ ماسَّة إلى إرشاد **الرُّوح القُدُس** لنا، وقيادته لحياتنا، وتبصيرنا **بأسرار ملكوت الله**، وتكميل شركتنا **مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.**

† ويُوضِّح القديس كيرلُّس الكبير إرشاد الرُّوح القُدُس لنا، قائلًا:

﴿ يقول **الرَّبّ**: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يو١٦: ١٣). أُنظرُوا كيف أَنَّ التعبير يخلُو مِنْ أيَّةِ مُبالغة، ولاحظُوا اتِّزان العبارة. فبعد أَنْ أخبرهم (**الرَّبّ**) أنَّ **المُعزِّي** سيأتي إليهم، دَعَاهُ: «رُوحُ الحَقِّ»، أي **روحه**، لأنه هو **الحَقّ**. فلكي يعرف تلاميذه أنَّهُ لا يَعِدُهُم بمجيء قوَّةٍ أجنبية غريبة، بل بالحريّ هو سيمنحهم **حضوره الشخصي** في صورةٍ أُخرى؛ (لذلك) فهو يدعو **المُعزِّي** «رُوح الحَقِّ»، أي **روحه الخاص. فالرُّوح القُدُس** ليس – في الحقيقة – غريبًا عن **جوهر الابن الوحيد، فهو من نفس الجوهر**، وغير مُنفصل عن **الابن** من جهة وحدة الطبيعة، رغم أنَّهُ (**الرُّوح**) يُدرِك أنَّ له **أُقنومًا** مُتميِّزًا عن **الابن.**

إذَنْ، فهو (أي **الرَّبِّ يسوع**) يقول: إنَّ «رُوح الحَقِّ» سيُرشدكم إلى المعرفةِ الكاملةِ **للحقِّ**. فإذْ له معرفة كاملة **للحقِّ** (أي **الابن**)، فهو لَنْ يَهَب إعلانًا جُزئيًّا **للحقِّ** لأولئك الذين يعبدون **الحقّ**؛ بل بالحريّ يغرس في قلوبهم **سرَّ الحقِّ بكامله.** لأنَّهُ حتى إنْ كُنَّا الآن «نعرف بعض المعرفة»، كما يقول الرسول بولس (كو ١٣: ٩)، ورغم أنَّ معرفتنا لا تزال محدودة؛ فإنَّ **جمال الحقِّ** قد أَوْمَضَ علينا كاملًا ونَقيًّا. وكما « أنه لا أحد يعرف أمور الإنسان إلاَّ روح الإنسان الذي فيه»؛ «هكَذَا أَيْضاً (بنفس الطريقة) أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ»، كما يقول الرسول بولس (١كو ٢: ١١) ...

ويقول **المُخلِّص**: « إنَّهُ متى جاء **المُعزِّي** فهو «لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ»؛ بل إنَّهُ لَنْ يُخبركم بشيء غير متَّفِقٍ مع تعليمي». ولا يقول: « إنَّهُ سيُعطيكم أيّ تعليمٍ غريب، لأنَّهُ لَنْ يُقدِّم لكم قوانينَ خاصة بِهِ؛ بل حيث إنَّهُ **رُوحي**، وكأنَّهُ هو **فِكْرِيّ** (أي **روح وفكر المسيح**)، فهو بالتأكيد سيتكلَّم إليكم عن الأمور الخاصة **بي**»... ولهذا السبب أضاف: «وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» (يو ١٦: ١٣)، فهو لم يكُن ليُخبركم بأمورٍ آتية، كما فعلتُ أنا، لو لم يكُن **موجودًا فِيَّ ويأتي إليكم بواسطتي، ولو لم يكُن له نفس الجوهر معي.**﴾

(القديس كيرلُّس: شرح إنجيل يوحنا، المجلَّد الثاني، يو ١٦: ١٢، ١٣).

السيِّدة ماريًّا سبيريلا، فاليراكي – رودس تتحدّث مع رئيسة دير ماليقي العامر للروم الأرثوكس قائِلةً:

كان والدي يُعاني من وعكةٍ صِحيَّة خطيرة نتيجةً للنوبة القلبيَّة الحادَّة التي أصابته والتي على أثرها دخل المستشفى لتلقي العلاج. كانت حالته حَرِجة، وحسب ما قاله لنا الأطباء، أنَّ حالته الصحيَّة خطرة بشكلٍ جِدِّي. لقد كان في شبه غيبوبة من جرَّائها، لا بل كانَ يُحْتَضَرُ.

قمنا بالتواصل مع دير العذراء ماليقي العامر للروم الأرثوذكس ، حيثُ أقمنا صلاة البراكليسي، وأخذنا **الطيب المقدس** ووضعناه في قنينة مملوءة **بالماء المقدَّس**؛ سقينا والدي كُلّ صباح باكرًا، مع رشم علامة الصليب.

بعدها بدأت حالته الصحيَّة بالتحسُّن، توقفت حالة شبه الغيبوبة، وتعرَّفَ علينا جميعًا. لقد حصلت الأُعجوبة.

والآن حالته الصحيَّة رائعة جدًّا. **شكرًا إلى العذراء مريم** ، لهذه العجيبة التي وهبتها لوالدي، نشكرها بإيمان حارّ على شفاعتها التي لا تُقَدَّر.

****

وشذرات من آباء الكنيسة العظام

«وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَارَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هٰهُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ». وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا». وَلَمَّا سَمِعَ التَّلاَمِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدًّا. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ: «قُومُوا، وَلاَ تَخَافُوا». فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلاَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ.» (متى١٧: ١-٨)

سنتوقّف هنا عند الآية التالية: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.» وَلْنَطْرَحْ بالتالي السؤال الجوهريّ: ما الذي حصل فِعليًّا مع **يسوع**؟ وما هذا **النور** الذي ظهر هنا؟

عبارة « تَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ » لا تعني بتاتًا أنَّه قد حصل أي تغيير **للمسيح يسوع** بل تعني أنَّه **تجلّى**، أي أنَّه كشف عن **طبيعته الإلهيَّة**. فهو منذ البدء **إلٰهٌ**، وقد **تجسّد إنسانًا كاملًا** ما خلا الخطيئة دون أن يفقد شيئًا من **ألوهِيَّته**.

هذه هي الخصوصِيَّة الجوهريَّة والأساسيَّة التي تتمتّع بها المسيحيَّة دون سواها.

لذا يُخطىء بالكُلِّيَّةِ كُلُّ مَنْ يعتبر أنَّ هذا النور كان نورًا عاديًّا أو رمزيًّا أو أنَّه أتاه من الخارج أو ما شابه كما فسّر بعض الذين لم يعرفوا **حقيقة يسوع الإلهيَّة الكاملة**.

فما حصل بالحقيقة أنَّ **الرَّبَّ يسوع**، بتجلّيه هذا، كشف عن **طبيعته الإلهيَّة** لِبُرهةٍ كونه **الله** الذي صار إنسانًا (أي أضاف إلى أقنومه الطبيعة الإنسانيَّة التي اتخذها، وأصبح **المسيح الإله ـ الإنسان**، مُخْفِيًا وساترًا الطبيعة الإلهيَّة بسبب التجسُّد)، وبالتالي لم يكن **النور** إلَّا تَأْكِيدًا **لطبيعته الإلهيَّة الكاملة**. كانَ **نورًا إلهِيًّا غير مخلوق** صادرًا منه مباشرةً لأنَّ **يسوع هو نور من نور ومصدر النور وخالقه**.

وأيضًا **التجلّي** مربوط **بالحياة الأبدِيَّة وبملكوت الله**، وهذا ما تعنيه الآية الإنجيليّة التي تسبق حادثة **التجلّي** مباشرةً: «إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هٰهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ» (متى ١٦: ٢٨، ولوقا ٩: ٢٧).

أقوال بعض الأباء القدّيسين في هذا النور غير المخلوق:

– القدّيس غريغوريوس بالاماس:

«هذا النور يسمو على سائر الكائنات. فكيف يكون ضياء الله مخلوقًا؟»

وسقوط التلاميذ أَرْضًا لم يكن إلَّا إشارة لبهاء هذا المجد الذي اظهره الرَّبّ يسوع، هذا المجد وهذا البهاء سوف يراهما الجميع في المجيء الثاني ولكن لا احد يرى جوهر الله.

ونحن نؤمن بأنَّ القدّيسين يرون ملكوت الله ومجده وبهاءه ونوره الذي لا يدنى منه ونعمته، ولكن لا جوهره.

وجه يسوع يَشِعُّ أكثر من الشمس وأصبحت ثيابه بيضاء كالثلج ومتميِّزًا عن ما ظهرَ عليه موسى وإيليا.

إنَّه يتجلَّى إذن، فلا يأخذ ما لم يكن عليه، بل يظهر ما هو عليه لتلاميذه، فاتحًا عيونهم، وجاعلًا إياهم مبصرين بعد أنْ كانوا عُميانًا.

– القدّيس يوحنا الدمشقي:

« اليوم تُرى أمور غير منظورة للعيون البشريَّة، جسد أرضي عاكسٌ تألُّقًا إلهيًّا، جسد مائت يُدفق مجد الألوهة.

تجلَّى أمامهم الذي هو على الدوام مُمجَّدٌ وساطعٌ ببريق الألوهِيَّة، لأنَّهُ، إذْ هو مولود من الآب مِنْ دون بداية، فهو يملك شعاع الألوهِيَّة

الطبيعي الذي لا بدء له، وهو لم يكتسب في وقت لاحق الكيان ولا المجد.

فالمجد لم يأتِ على الجسد من خارج بل من الداخل، من ألوهيَّة كلمة الله الفائقة الألوهيَّة، والمتّحدة بالجسد بحسب الأقنوم على نحو يتعذر وصفه».

– القدّيس يوحنا الذهبي الفم:

لِمَ تُشبِّهونَهُ بالشَّمسِ وهو صانعها و«المتسربل بالنور كالثوب»، و«كوكب الصبح»، وهو «النور المولود من النور»؟ هل يمكن تشبيه الله الفائق المجد؟ الذي لا يُقارن؟

هل أراد أنْ يريهم «المجد الذي كان له من قبل إنشاء العالم»؟. وابتغى أن يريهم الإله، ابن الله، المتخفّي وراء الجسد البشري والمتجسد لأجل خلاص البشر؟

لقد أراهم مجده. ولكن، لماذا كَتَمَ الإله الذي قبل كُلِّ الدهور، ملك الملوك ورَبّ الأرباب، عظمتَهُ ومجدَهُ كُلّ الفترة التي أمضاها مع تلاميذه ولم يظهرهما إلَّا بهذه الطريقة؟

هل وَجَدَهم، حتى تلك الساعة، عاجزين عن فهم أُلوهِيَّتِهِ؟

لقد شقّ الرَّبّ جزئيًّا باب الألوهِيَّة، وأراهم **الإله** الذي يسكن فيه وتجلّى أمامهم.

ويكمل: لماذا قال الإنجيلي: «أكثر من الشمس»؟ لأنّه لا كوكبٌ أكثر ضياءً منها. ولماذا قال: «أكثر بياضًا من الثلج»؟ لأنّه لا مادةٌ أكثر بياضًا، ولكنَّه لم يشعّ هكذا، إذ «وقع التلاميذ أرضًا».

فلو كان يشعّ كالشمس لما وقع التلاميذ أرضًا، إذ كانوا يرون الشمس كلّ يوم ولا يقعون أرضًا، بل لأنّ شعاعه فاقَ ضوء الشمس وبياض الثلج.

لقد أشفق يسوع على تلاميذه، نزل إلى ضعفهم، أراهم مِنْ أُلوهِيَّتِهِ فقط بقدر ما يستطيعون احتماله، وهذا ما تقوله الطروبارية في عيد التجلّي.

فماذا كان حدث لو أنَّه أراهم مجده الحقيقي؟ أَمَا كانت الدنيا فنيت، لأنَّه «ينظر إلى الأرض فيجعلها ترتعد ويمسّ الجبال فتدخّن»؟ لو أنَّه أبدى جوهره، أَمَا كانت الشمس انطفأت والقمر اضمحلّ والأرض فنيت؟ لهذا غلَّفَ نفسه بجسدٍ وأتى بعذوبة ودون صخب.

إنَّ النور كان على وجه موسى عابرًا (٢ كور ٣: ٧).

الآب والكلمة والرُّوح القُدُس يملكون هذا النور بالطبيعة أمَّا الآخرون فيشتركون في النور بالنعمة. وهذا ما نراه في موسى وإيليا. ليست أول مرّة يشترك موسى بالنور على جبل ثابور، بل في الماضي أيضًا حين رآه بنو إسرائيل مُضيء الوجه، ولم يتمكنوا من التحديق فيه (خر ٣٤: ٢٩) «موسى تلقى على وجهٍ مائت مجدَ الله غيرَ المائت».

– القدّيس افرام السرياني:

« أراهم كيف ينبغي أَنْ يأتي في ذلك اليوم الأخير بمجد لاهوتِهِ وبجسد ناسوتِهِ، وكيف سيتمَجَّدُون هُم أيضًا.»

– القدّيس اندراوس الكريتي:

«إذ عجز التلاميذ عن احتمال شعاع هذه البشرة التي لا عيب فيها، الذي انبجس كما مِنْ نبعٍ، مِنْ ألوهِيَّةِ الكلمة، بطريقةٍ فائقةِ الطبيعة مِنْ خلال البشرة التي اتّحدَ بها بحسب الأقنوم، سقطوا على وجوههم، يا للمعجزة!»

خلاصة:

بالتجلّي شعَّ **يسوع** بمشروع خلاصه للبشر وبمحبَّته اللامتناهية لِكُلِّ واحد منَّا، و«دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب» (١ بط ٢: ٩).

هو الشمس التي لا تغيب.

«النور يظهر للصديقين والفرح لمستقيمي القلوب» (مز ٦٦: ١١)

لِنُرَنِّمْ مع النبي داود قائلين:

«ثابور وحرمون باسمك يتهلّلان» (مز ٨٨: ١٣)، إنَّه النور الآتي لينير العالم ليحوِّلَ الذين ينيرهم إلى شموس، «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس

ما هو الحقد؟!! للقديس يوحنَّا السُلَّمِي

إنَّ الفضائل الجليلة تشبه سُلَّم يعقوب والرَّذائل الذَّميمة تشبه السلسلة التي وقعت من يَدَيْ بطرس الرسول. لأنَّ الفضائل تقود من يختارها ويتبعها الواحدة تلو الاخرى وتصعد به إلى السماء، أمَّا الرذائل فتلد الواحدة الاخرى وتتصل كلها معًا مثل السلسلة.

الحقد ثمرة الغضب، وإدخار للخطايا ومقت للبرِّ واضمحلال للفضائل، وسمٌّ للنفس، ودودة للعقل، وخزي للصلاة، وقطع للتضرع، وآغتراب عن المحبة، ومسمار يخترق النفس، ومرارة محبوبة، وخطيئة مستمرة، ومعصية لا تنام، وشرٌّ قائم في كل ساعة.

بمناسبة صوم العذراء والدة الإله الدائمة البتولية مريم وانتقالها الى السماء

قصة أَيقونة صيدنايا في التراث الأثيوبي

كان في مدينة **صيدنايا** امرأة اسمها **مرتا** غنيّة ومختارة من **الله**.

في يومٍ من الأيّام، كانت تفكر في أَنَّها تُبدِّد ثروتها عبثًا مثل كلّ الناس وتقول في نفسها: «ما هي المنفعة الّتي أجنيها لنفسي ولحياتي، كما يقول الإنجيل، إذا ربحت العالم كلّه وخسرت نفسي؟ ماذا ينفع الإنسان إذا لم يُعطِ كلّ شيء مقابل حياته؟»

تأمّلت **مرتا** كثيرًا في هذا القول، وأرادت أَنْ تصنع الأفضل بمالها، وفكّرت مليًّا في العمل الخيريّ الّذي يفوق كلّ عمل خيريّ آخر.

في تلك السّاعة تذكّرت **إبراهيم أبا الآباء، وخليل الله**، الّذي كان يضيف الغرباء، فاستأهل أَنْ يستضيف **الثّالوث القدّوس** في بيته، وربح إقامتهم عنده.

وأخت لعازر، مرتا، كانت تحبّ استقبال الفقراء كثيرًا. وبهذه الطّريقة، استحقّت أَنْ يكون منزلها مكانًا لراحة **السَّيِّد الرَّبّ يسوع المسيح**، خلال ذهابه وإيابه، في شهر الرّحمة ويوم الخلاص، كما قيل عنه: «إنَّ ابن الله سوف يُدعى غريبًا».

عرفت **مرتا (صيدنايا)**، بقلبها، أَنَّ هذه الأعمال الثّلاثة هي أفضل من سواها، فابتنت نزلًا كبيرًا لإضافة الغرباء. ومنذ ذلك اليوم، كانت تعدّ مائدة كبيرة وجميلة كالّتي يقيمها الملك لعرس ابنه من أجل الوافدين إلى النُّزُل.

هكذا، كانت تُعدُّ لنفسها عُرسًا سماويًّا.

بعض نُزلائها كانوا من الرُّهبان. بعد أنْ يأكلوا ويشربوا، كانت تسألهم عن الأمور الإلهيَّة وقصص الآباء القدامى.

وفي يوم من الأيّام، تجمّع الإخوة في بيتها، كعادتهم، لقضاء اللّيلة.

وأخذت هي كعادتها تسألهم كلمة منفعة.

فروَوا لها أنَّه يوجد في أورشليم أناس يرسمون أَيقونة لسيّدتنا، القدّيسة الدّائمة البتوليّة مريم، والدة الإله، تحصل من خلالها عجائب عديدة، فكلّ ما يطلبه المرء كانت تحقّقه له والدة الإله. لم يكن هناك شيء مستحيل عليها، كما لم يكن هناك شيء مستحيلٌ على ابن العذراء **فائق القدرة**.

عندما سمعت **مرتا** هذا الكلام، التهب قلبها بمحبّة السّيّدة، القدّيسة دَائمة البتوليّة مريم، والدة الإله.

وأخذت ترجوهم قائلة: «هل سيذهب أحدكم إلى أورشليم، حتّى أعطيه ذهبًا، ليحضر لي أَيقونةً مرسومةً لمريم سيّدتي؟»

عندما سمع الرّهبان من **مرتا** كلمات المحبّة الّتي تكنّها للعذراء، قال أحدهم: «أنا سوف أذهب وأشتري لك أَيقونة من مالي الخاصّ، وأحضرها لك. وعند عودتي، أستوفي منك ثمنها».

في هذه اللّحظة، سجدت **مرتا** أمامه، وقبّلت رجليه، وأغدقت عليه بأدعيتها.

في الصّباح الباكر، انطلق الرّاهب إلى أورشليم. وبعدما أنهى كلّ أعماله هناك، تذكّر ما أوصته به المرأة؛ فابتاع لها أَيقونة جميلة لوالدة الإله، يقال إنَّ القدّيس لوقا الإنجيليّ هو الّذي رسمها.

أخذ الرّاهب الأَيقونة ووضعها في صدره. وانطلق إلى **صيدنايا**.

في الطّريق، صادف أسدًا يزأر بوجهِهِ، ويستعدّ لافتراسه، فارتعب لهذا المنظر. وللحال، خرج صوت من الأَيقونة أشدّ هولًا من زئير

الأسد، فهرب الأسد على الأثر بسرعة البرق، كما لو أنَّ فارسًا كان يتبعه يريد قتله.

تابع الرّاهب سيره مذهولًا من سماعه الصّوت يخرج من الأيقونة.

وفجأة، وجد نفسه أمام عصابة من المجرمين يهدِّدونه. من جديد، خرج صوت من الأيقونة كصوت الرّعد، فارتعب أفراد العصابة، وهربوا جميعًا من دون أنْ يعرفوا من أين صدر الصّوت.

بعد أنْ سمع الرّاهب الأصوات ورأى المعجزات الباهرة تحدث، قال في نفسه: **«سوف آخذ الأيقونة إلى بلدي أثيوبيا، لتعينني هناك، بخاصّة بعد أنْ شهدت عجائبها»**.

لم يكن الرّاهب يعلَم أنَّ الأيقونة لم تأتِهِ بمشيئته الخاصّة بل لتكون مع **المرأة** الّتي أحبّتها من كلّ قلبها. ظَنَّ أنّه حصل عليها بماله الخاصّ، واشتراها من دون مشيئة والدة الإله، تمامًا كالأغراض الأخرى الّتي يشتريها الحجّاج.

لذا، قال في نفسه: **«لن أعطيها لتلك المرأة، ولن أذهب إلى بيتها، بل إلى بلدي»**.

وبينما هو يتأمّل هذه الأمور، وصل إلى شاطئ البحر، حيث وجد عدّة سفن. سأل البحّارة عن وجهة سيرهم.

فقال له أحدهم: «إلى **صيدنايا**».

فتركه الرّاهب، وسأل آخر، فقال له إنّه ذاهبٌ إلى **أثيوبيا**؛ فصعد الرّاهب سفينته ليذهب معه. وبعدما أقلعت السّفينة، وعند وصولها إلى منتصف الطّريق، في وسط البحر، هبَّت ريح عاصفة غيّرت اتّجاه السّفينة، وحوّلته إلى جهة **صيدنايا**.

ذهب الرّاهب إلى بيت **مرتا** ليستريح، وكان يقول في نفسه: «**كيف ستعرف أنّي أنا الّذي أوصته بالأيقونة؟**». ثمّ إنّه دخل إلى منزلها مع المسافرين الآخرين.

في الصّباح، أراد أن يخرج معهم. وما إن وطئ عتبة النّزْل، حتّى خرج الجميع إلّا هو، لأنّه لم يستطع أنْ يعبر مِنَ الباب، الّذي كان يُغلَق بوجهِهِ بفعل أعجوبة للسّيّدة، الدّائمة البتوليّة مريم والدة الإله، فيما كان الآخرون يدخلون ويخرجون بحرّيّةٍ.

كانت عادة **مرتا** أنْ تستقبل وتودّع الزُّوّار عند باب المدخل، وتعطي المحتاجين زادًا للسّفر، فوجدت هناك الرّاهب يحاول عبثًا الخروج، فقالتْ له: «أيُّها الأب، أرى أنّك مريض، امكث هنا اليوم، وغدًا تذهب، فإنّ بيتي مخصّص لاستضافة المسافرين». فقبل الرّاهب.

في اليوم التّالي، عندما أراد الذّهاب، تكرّر ما حدث له، ولم يستطع أنْ يعبر الباب، فاستضافته المرأة من جديد.

وفي اليوم الثّالث، إذ لم تغادره رغبته في الخروج، حاول مجدّدًا، ومجدّدًا لم يستطع.

عندما رأت **مرتا** أنَّ هذا الحدث تكرّر لثلاثة أيّام على التّوالي، تعجّبت، إذ إنّ الرّاهب لم يكن يبدو عليه المرض عند رقاده في المساء، إلّا أنّه في الصّباح لم يكن يستطيع عبور الباب، فسألته:

«ماذا يحصل لك، أيها الأب؟ تكلّم.»

فشعر الرّاهب بالخجل، وقال **لمرتا**: **«ألم تتعرّفي إليّ؟!»** أنا الّذي طلبتِ منه أنْ يُحضر لك أيقونة للسيّدة، الدّائمة البتوليّة مريم، والدة الإله، من أورشليم».

فقالت له: «كيف لي أنْ أعرفك، وكثيرون هم القادمون والخارجون من هنا؟!».

عندها، روى لها الرّاهب كُلّ العجائب الّتي حصلت معه بوساطة الأيقونة، منذ اليوم الّذي ابتاعها فيه حتّى الآن.

ثُمَّ أخرج الأيقونة من صدره، وأعطاها لها قائلًا: «إليك هذه الأيقونة المذهلة».

لدى سماع **مرتا** ذلك، سجدت عند قدمي الرّاهب، لشدَّة حبِّها للعذراء. وأخذت الإيقونة من يَدَيْهِ، وسجدت من جديد، كما سجدت **الملكة هيلانة** عندما وجدت **صليب ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**، وصرخت بفرحٍ كبير، حتّى إنَّ كلّ النّاس سمعوها وتحلّقوا حولها.

فيما بعد، شيّدت **مرتا** للأيقونة منزلًا جميلًا كالّذي شيّده **سليمان لعرش صهيون**، وأحاطتها بكلّ الإكرام الّذي يليق بها، على قدر طاقتها، وأضاءت إلى يمينها وإلى يسارها قنديلين لا ينطفئان لا ليلًا ولا نهارًا.

وكانت تسجد أمامها وتقبّلها، لدرجة أنّها لم تَعُدْ تقدر على فراقها حتى لتستريح.

الشيء المذهل والمعجزة الجديدة لوالدة الإله أنَّ الأيقونة كانت تظهر لها كأنّها تلبس جسدًا حيًّا، كما رأى المجوس مريم في المغارة حاملة ابنها الحبيب.

كما كانت (أي الأيقونة) تذرف الدّمع وتتصبّب عرقًا، وكلّ من كان يمسح نفسه بهذا السّائل كان يشفى من أمراضه حتّى المستعصيّة منها.

لتكن صلواتها وبركتها ورحمة ابنها المحبوب معنا أجمعين إلى أبد الآبدين، آمين.

دكتور جوزيف زيتون

من أقوال القديس اكليمندوس الاسكندري

الله المُحب الرَّحوم أطلق بنفسه الجسد من أسره، وحرَّره من عبودية الهلاك، العبودية المُرَّة المُميتة، ومنحه الخلود في الأبدية. بذلك مَنحَ الجسد البشري عطية الأبديَّة المقدَّسة، فجعله خالدًا غير مائتٍ إلى الأبد.

صورة الله في الانسان – حسب آباء الكنيسة

إنَّ العَظَمَةَ الحقيقيَّةَ للإنسانِ تكمُن، ليس فقط في كونه تاج الخليقة، ولا في كونه ممتازًا على الحيوانات والجماد (أرقى بامتياز)، ولا في كونه «الكون المُصغَّر»، لأنه كما يقول القديس غريغوريوس النيصي: «إنَّ كلَّ هذا ليس بأمرٍ ذي شأن، لأن الأرض تَعبُر والسماء تتغيَّر، وكُلّ ما هنا زائل بما عليه، فالخليقة لَنْ تقدر أن تُخلِّص الإنسان أو تَهَبَهُ الحياة الأبدِيَّة».

ولكن عظمة الإنسان وكرامته هما **إلهيَّان** حقًّا، وكيانه نابع من خلقته لكي يكون مشترِكًا في **الحياة الإلهيَّة**. وهذا ما عبَّر عنه الكتاب المقدَّس أنَّ الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله:

﴿من جهة طبيعتي التي على الأرض، فأنَا مشدودٌ للحياةِ هنا إلى أسفل؛ أمَّا من جهة كوني **مخلوقًا إلهيًّا**، فأنا أحمل في صدري الشهوة للحياة الأبديَّة.﴾ (القديس غريغوريوس النزينزي: مقالة عن النفس ٧٠–٧٥).

فالإنسان كائنٌ إلٰهي، وليس مُجرَّد طبيعة عمياء مُنساقة بغرائزها للتراب مثل الحيوانات والطيور، وذلك بسبب **صورة الله** التي خُلِقَ عليها والمثال (أو الشَّبَه) الإلٰهي الذي دُعِيَ أَنْ يبلُغه في النهاية: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا... فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ.» (تك ١: ٢٦،٢٧).

وقد أجمع الآباء القدِّيسون على أَنَّ «الصورة» و«الشَّبَه» يُمثِّلان: الموهبة الأُولى المُعطاة للإنسان (الصورة)، والكمال الفائق للطبيعة أو الاكتمال المدعو الإنسان لبلوغه في النهاية (الشَّبَه):

﴿الصورة نالها الإنسان فور خِلْقَتِهِ، بينما الشَّبَه كان مُقدَّرًا أَنْ يتَّخِذَهُ الإنسان من خلالِ عمليَّة تدرُّج في الكمال.﴾ (القديس كليمندس الإسكندري: ستروماتا ٢: ٢٢).

﴿«الصورة» تتضمَّن المواهب الطبيعيَّة، وعلى الأخص العقل والنُّطق (على شَبَهِ ومثال «**اللوغوس**» الذي هو «**كلمة الله**») وحريَّة الإرادة، وهذه لا يمكن أَنْ تُفقَد (**بسبب الخطية**). و«الشَّبَه» **فائق للطبيعة**، وهو اقتناء **الكلمة وشركة الرُّوح**؛ وهذا فَقَدَه آدم واسترجعه **المسيح**.﴾ (القديس إيرينيوس: ضد الهرطقات ٥:٦:١).

﴿هل هناك فرق بين «على صُورَتِهِ» وبين «على شَبَهِهِ»... لأنَّهم

يقولون إنَّنَا نِلْنَا «الصورة» في وقت الخِلْقة، أمَّا «الشَّبَه» فقد حُفِظَ لنا في الدهر الآتي. وهذا هو السبب للمكتوب: حين يُظهَر المسيح... سنصير مثله. «وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ.» (١يو٣: ٢). وأيضًا: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (تك١: ٢٦). وبعد خلقة الإنسان قال: «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ.» (تك١: ٢٧)، دون أن يُشير إلى «شَبَهِنَا» ليُظهِر أنَّنَا لم نَنَلْ بعد الشَّبَه، إذ قد حُفِظَ ذلك لنا في حياة الغبطة المستقبلة.﴾ (القديس كيرلُّس الكبير: على إنجيل يوحنا – المجلَّد ٣، صفحة ٥٥٤).

في هذا الشرح يقصد الآباء التفريق بين «الصورة» و«الشَّبَه» كأنهما موهبتان مختلفتان، ﴿يقول القديس إيرينيوس: إنَّ الصورة تُمثِّل المواهب الطبيعية، وعلى الأخص: العقل وحريَّة الإرادة، وهذه المواهب لا يمكن أنْ تُفقَد؛ أمَّا الشَّبَه فهو الموهبة الفائقة للطبيعة وهي اقتناء «**الكلمة**» **وشركة الرُّوح**، وهذه فُقِدَت بسبب آدم، واستُرجِعَت في **المسيح** (ضد الهراطقة ٥: ١:٦)﴾؛ ولكن على أساس أنَّ «الصورة» هي الجانب المُستقِرّ غير المُتغيِّر في الإنسان؛ بينما الشَّبَه هو العامل المُتحرِّك (الديناميكي) الذي يتضمَّن ما سيصير عليه الإنسان، وهو التحقيق المُتدرِّج لبلوغ كمال الصورة التي أَوْدَعها **الله** فينا (وَكَأَنَّ الصورة نوعٌ من الرسم التخطيطي الأوَّلي).

فالشَّبَه هو الصورة وهي تكتمل في تحقيقها. فهما متطابقان في جوهرهما في **فكر الله**، أمَّا بالنسبة للإنسان فسيتطابقان نهائيًّا في السماء بعد **القيامة العامة** كما كانا في البدءِ. فالإنسان الآن في طور الاكتمال ليكون في النهاية على شَبَه الصورة التي فيه منذ خِلْقَتِهِ.

﴿سنكون مثل **المسيح** في عدم الفساد (أي عدم الموت)... لكننا منذ الآن لسنا غرباء عن شَبَهِهِ، إذ قد تصوَّر فينا **بالرُّوح القُدُس**.﴾ (القديس كيرلُّس: على إنجيل يوحنا (المجلَّد ٣، صفحة ٥٥٤). يُلاحَظ أنَّ القديس كيرلُّس لا يوافق بتاتًا على التفريق بين الصورة والشَّبَه على أنهما شيئان مختلفان، وذلك في هذا النَّص. ولكن على أساس أنَّنا نقتني منذ الآن بذرة الشَّبَه في الصورة.)

وبهذا يُطمئِنَنا الوحي جدًّا أنَّ مَا أُعطيناهُ من موهبة الخِلْقَةِ على صُورَةِ **الله** وشَبَهِهِ، تتضمَّن منذ البدء دعوتنا إلى الشركة مع **الله**، وَوَعْدِ **الله** لنا بتكميل وتحقيق ذلك أيضًا في الدهر الآتي. وهذا يتوقَّف على جهادنا في هذا الدهر مع مؤازرة النعمة.

كما يُعبِّر عن ذلك القديس باسيليوس الكبير في قولين متتابعين:

﴿الإنسان هو خليقة الله العاقلة، وقد جُبِلَ على صورته.﴾ (القديس باسيليوس الكبير: تكوين الإنسان ١: ٦).

﴿خُلق الإنسان كائنًا حيًّا، وأُمِرَ أَنْ يصيرَ إلهًا.﴾ (هذا القول أورده (نقلاً عن القديس باسيليوس) القديس غريغوريوس النزينزي في عظته الثالثة والأربعين على رقاد القديس باسيليوس).

فَمنذُ البدءِ وإلى أعماق الدهور الآتية نحن مدعوُّون – بِنَاءً على أَمْر **الله** – أَنْ نكون شُركاءَ **حياته الإلهيَّة** بالنعمة وعلى قَدْر ما يُعطينا وعلى قَدْر ما نحتمله نحن.

وهكذا فإنَّ خلقة الإنسان على صُورَةُ **الله** وشَبَهِهِ، تتضمَّن أساسًا الشركة مع **الله** منذ البدء.

والقديس أثناسيوس الكبير يُشير إلى الصورة والشَّبَه هكذا:

﴿خَلَقَ الله البشر وجعلهم يُشاركونه صورة ربّنا يسوع المسيح، وخلقهم على صورته ومثاله، لكي بهذه النعمة يعرفون الصورة، أي كلمة الآب، ومن خلاله يصيرون قادرين على أَنْ يتعرَّفوا على الآب، حتى إذا ما عرفوا خالقهم يعيشون الحياة الطوبانيَّة حقًّا (المطوَّبة) حتى، بطول الزمن، يمكن أَنْ ينالوا «عدم الفساد» (أي «عدم الموت») في السماء.﴾ (القديس أثناسيوس الكبير: تجسُّد الكلمة).

صورة الأقانيم الإلهية، وانعكاسها في كيان الإنسان:

ولكن أوَّل حقيقة صوَّرها لنا الآباء في تأمُّلهم في خِلْقة الإنسان على صورة **الله**، هو انعكاس صورة **الأقانيم الإلهيَّة** وفعلها داخل الإنسان كما في مرآة:

فمن جهة كلمة الله:

﴿كلمة الله هو صورة الله، والإنسان الحقّ هو صورة الكلمة. العقل الذي في الإنسان هو بحسب صورة الله ومثاله. من أجل ذلك صار الإنسان ناطقًا.﴾ (القديس كليمندُس الإسكندري: Prot. ١٠).

﴿صورة الله هو كلمة الله. والعقل الإنساني هو الصورة التي بحسب صورة الله.﴾ (القديس كليمندس الإسكندري: Str. ٥,١٤).

﴿النَّفْسُ تَشكَّلت بحسب صورة الله وخُلِقَت على شَبَهِهِ، كما قال الكتاب المقدَّس على فم الله: «نصنع الإنسان كشَبَهِنَا». لذلك، فحينما تطرح النفس عنها كل دنس الخطية التي تُغطِّيها، وتُبقي فقط على ما هو طاهر بحسب هذه الصورة، وحينما تَسْتَنير، هكذا تُبْصر – كما في مرآةٍ – الكلمة الذي هو صورة الآب؛ ومن خلاله، حينئذٍ تعرف الآب الذي صورته هو المخلِّص.﴾ (القديس أثناسيوس الكبير: الرسالة إلى الوثنيين ٣٤: ٣).

ومن جهة الرُّوح القُدُس:

للرُّوح دورٌ رئيسي في نَقْش **صورة الله** فينا، التي يُسمِّيها الآباء: «جمال الله فينا»، «جمال الطبيعة الإلهيَّة المتلألئ في نفوسنا»، «بتقديس الرُّوح نعود إلى جمال طبيعتنا الأصلي، الذي هو صورة الله».

﴿ أليس هو الرُّوح الذي ينقش صورة الله فينا، وهو الختم الذي يصنع فينا البِرّ والجمال الفائق للعالم؟

قد يقولون: بَلَى، ولكن ليس باعتباره إلهًا؛ بل فقط كمُوصِّل لنعمة إلهيَّة، فليس هو بنفسه الموسوم فينا، بل «نعمة» من خلاله.

إذن، فإن كان الأمر كذلك، فكان ينبغي أن يُدعَى الإنسان، لا صورة الله، بل صورة النعمة!﴾ (القديس كيرلُّس الكبير: حوار على الثالوث ٧.)

إنَّ القديس كيرلُّس الكبير لا يتساهل مع الذين يَدَّعُونَ بِأَنَّ هذه النعمة هي شيء منفصل، وبالتالي أدنى من **الرُّوح**؛ ذلك لأنَّ الذين يُنكرون **لاهوت الرُّوح القُدس** سيصلون حتمًا إلى هذه النتيجة: إنَّهُ ليس **روح الله** نفسه الموسوم فينا، بل هي فقط نعمة من خلاله. ولكن شكرًا **لله**، لأَنَّ **الله** نفسه هو الذي طبع فينا صورته وجماله «الفائق للعالم» **بروحه الخاص**، وهذا أعظم ضمان لحقيقة حضور صورته فينا.

حقًّا، لقد شوَّه الإنسان جماله الإلٰهي، ولكن ها هو **روح الله** يسترجعه مرَّة أخرى بعمل **ربنا يسوع المسيح** الذي أكمله **بالتجسُّد**.

﴿من المستحيل لنا أن نسترجع جمالنا الأصلي منذ أنْ سقطنا منه بسبب معصية الإنسان الأول، لولا تكميلنا تلك الشركة والاتحاد مع الله غير المُعبَّر عنهما.

ولكن الاتِّحاد مع الله غير ممكن لأيِّ إنسانٍ تحقيقه إلَّا من خلال الاشتراك في الرُّوح القُدُس الذي يغرس فينا قليلًا قليلًا تقديسه الخاص، والذي يُعيد تشكيل طبيعتنا التي خضعت للفساد، يُعيد صياغتها على حسب حياته الخاصة. وهكذا يستردُّ لله وللمشابهة لله ما سبق أنْ تجرَّد مِنَ المجد.

لأنَّ صورة الآب الكاملة هو الابن، والشَّبَه الطبيعي للابن هو الرُّوح القُدُس. والرُّوح بالتالي إذْ يُعيد تشكيل نفوس الناس لنفسه، ينقش فيهم مُشابهة الله، ويختم فيهم إعادة حضور جوهره الفائق.﴾ (القديس كيرلُّس الكبير – على إنجيل يوحنا ١١).

إنَّ الآباء القدِّيسين طالما تأمَّلوا في ذلك الجمال الفائق للعالم الذي انطبع في الإنسان منذ خِلْقَتِهِ في البدء. هذا الجمال الذي **شوَّهَهُ الإنسان** (ولكن لم يفقد صورته) **بالخطية والمعصية**؛ بل تحوَّل فيه إلى «قُبح» الطبيعة. لكن هذا الجمال استُرجِعَ ثانيةً **بتجسُّد وفداء المسيح** (**صورة الله الطبيعيَّة الكاملة**). **إنَّهُ جمال الثالوث فينا، جمال بِرِّ الابن صورة الله، وجمال تقديس الرُّوح صورة الابن!**

إنَّ الرُّؤيَةَ المسيحيَّةَ للإنسان تَرى بوضوح حقيقة **الصورة الإلهيَّة** فينا قائمة منذ لحظة الخِلْقة بموجب **المشورة الإلهيَّة**: «نَخْلُقُ (**بصيغة الجماعة، أي مشورة الله الثالوث الواحد الجوهر**) الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦، ٢٧).

لماذا لم يَرِد ذِكْر «صورة الله» على مدى العهد القديم؟

أَمْرٌ مُثير للتساؤل حقًّا، أَنْ نرى هذه الحقيقة غائبة من صفحات العهد القديم كلِّه، بعد رواية سفر التكوين – الأصحاح الأول، بالرغم مِنْ أَنَّ **الوحي الإلٰهي** عاد فأكَّدها حتى بعد **جريمة قايين**، إذ قال: «لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ.» (تك٩:٦). **الله** وحده الآن يشهد وَيُذَكِّر أَنَّ الإنسان مخلوقٌ **على صورته – حتى بعد الخطية** – ولكن ما أتعس الإنسان، إنسان العهد القديم الذي ما كان قادرًا على أَنْ يَرى في نفسه ذلك الجمال الفائق للعالم بعد أَنْ **غَرِقَ في ظلمة الخطية والفساد والموت.**

ولكن عُذرًا، فليست **صورة الله** في الإنسان مُجرَّد صفة خارجيَّة أو فضيلة مُضافة على خِلْقَةِ الإنسان، هي ليست «حالة» وُضِعَ فيها الإنسان بواسطة خالقه؛ ولكنها هي **جوهر** خِلْقة الإنسان نفسه. إنَّها **كيانه البشريّ كلّه**.

لذلك، فما كان يمكن أَنْ يَعِي الإنسان هذه **الصورة الإلهيَّة** التي فيه إلَّا **بظهور ابن الله في الجسد** «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ» (عب ١:٣). ذلك لأنَّ الإنسان خُلِقَ من خلال **عمل الابن**: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ» (يو١:٣)، «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى» (كو١:١٦)، «خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (أف٣:٩)، «مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ» (أف٢:١٠).

﴿خَلَقَ الله الإنسانَ على صورته الخاصة، مُعطيًا إيَّاهم (أي البشر) نصيبًا في قوَّة كلمته الخاصة، حتى إذْ يكون لهم بعض ظلال «الكلمة» ويصيرون عاقلين، يصبحون في حال البقاء في الكلمة.﴾ (القديس أثناسيوس الرسولي: تجسُّد الكلمة ١١).

﴿جعلهم يُشاركون صورة ربّنا يسوع المسيح، فخلقهم على صورته ومثاله... لكي مِنْ خلاله يصيرون قادرين أنْ يتعرَّفوا على الآب.﴾ (القديس أثناسيوس الكبير: تجسُّد الكلمة ١١).

هذه العلاقة الجوهرية بين **صورة الله** في الإنسان وبين **صورة الله الطبيعيَّة** التي هي **ابن الله**، والتي استُعلِنَت لنا **بالتجسُّد**؛ كانت موضع هذيذ القدِّيسين واندهاشهم، حتى أَنَّ العلَّامة ترتليانس رأى أنَّ: ﴿الطين الذي شَكَّل الله منه جسد آدم، اكتسى بصورة المسيح المُزمع أن يأتي في الجسد بعد آلاف السنين.﴾ (De Camis resurrectione، ٦).

لذلك فقد صارت فعاليَّة **صورة الله** فينا، نحن الذين نحيا الآن في **عصر النعمة**، تعتمد على «**حياتنا في المسيح**». الحياة «**في المسيح**» هي صُلْب الإنجيل والبشارة.

وهنا الآن يصحُّ أَنْ نعودَ مرَّةً أُخرى إلى علاقة الإنسان بالخليقة باعتباره «**تاج الخليقة**» و«**الكون المُصغَّر**» الذي فيه تتمركز الخليقة وتتجلَّى **بافتدائه وتجلِّيه في المسيح**. الآن نستطيع أنْ نُردِّد هذا الامتياز ونُعطيه حقَّ قَدْرِهِ دون غياب وَعْيِنا **بأصلنا الإلٰهي** الذي وَهَبَنا مركزنا هذا في الخليقة كوننا مَخْلُوقِينَ على **صورة الله**، وبالتالي دون التغاضي عن خطورة مسئُوليتنا عن الخليقة، المترتِّبة على ذلك **الامتياز**.

فالخليقة تتبع أَثَر الإنسان، إنْ سَقَطَ سقطت، وإنْ افتُدِيَ افتُدِيَت:

✝ «لأَنَّ انْتِظَارَ* الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ.» (رو ٨: ١٩-٢٢). (انْتِظَارَ*: الترجمة الدقيقة عن اليونانيَّة لكلمة «انْتِظَار» هي: «حنين أو توافُق».)

إذَنْ، فالإنسان مسئُولٌ عن الخليقة والعالم بسبب **صورة الله** التي فيه. والخليقة مُعتَمِدَة تمامًا على الإنسان، المخلوق على **صورة الله**،

في تمجيده وتسبيحه لله، نيابةً عنها في انتظار **يوم الافتداء الكامل العظيم**:

﴿ الكنيسة تُصلِّي: يا طبيعة المخلوقات سبِّحي السيِّد، سبِّحوا الرَّب يا أعماله وارفعوه الى كُلِّ الادهار، باركوا يا جميع أعمال الرَّبّ للرَّبّ. سبِّحوه وارفعوه إلى الابد. باركي الرَّبّ أيتها السموات... يا جميع المياه... أيتها الشمس والقمر... أيتها الأمطار والأندية... أيتها السُّحُب والرياح... إلخ...﴾ (صلاة السَحَر: ذكصا كانين، التسبحة الثامنة، تسبيح الثلاثة فتية القديسين).

فالإنسان، المجبول على **صورة الله**، يُمارِس تسبيحَهُ وتمجيدَهُ بلسانِه (كما في التسبحة اليوميَّة التي يُمارسها الرهبان كل يوم في صلواتهم في المزامير السَّحَرِيَّة)، وبيديه كما بقلبه وفكره وباطنه: «باركي يا نفسي الرَّبّ، وجميع ما في باطني لاسمه القدوس» (مز١٠٢: ١) نيابةً عن الخليقة كلها. الإنسان كلّه بكلِّ عناصر تكوينه: **الجسد والنفس والرُّوح**، مدعوٌّ أنْ يُمارِس **امتيازه** باعتباره مخلوقًا على **صورة الله**.

الصورة الإلهيّة في الإنسان ليست مختبئة داخل باطن نفسه فقط، بل هي مُنطبعة على **كيانه الإنساني كلّه**. الإنسان كلّه، ليس جزء منه فقط، ليس نفسه أو عقله فقط؛ بل كل الإنسان مخلوقٌ على **صورة الله**:

﴿على الطبيعة الإنسانية الكاملة بَشقَّيهَا: النفس، وأقول أيضًا الجسد، **غَرس الله**، كمثل خَتْمٍ، **طبيعته الخاصة، الرُّوح القُدُس**، أي نسمة الحياة التي من خلالها شكَّل الإنسان حسنًا؛ فاكتملت خلقته بحسب **صورة خالِقِهِ** من أجل كلِّ فضيلة، وذلك بقوَّة **الرُّوح الحارس** الساكن فيه.﴾ (القديس كيرلُّس الكبير: على إنجيل يوحنا = ٩ : ١.) ويُلاحَظ أنَّ القديس كيرلُّس هنا لا يؤمن بأنَّ انطباع صورة الله على الجسد يعني أنَّ الله له شكل جسدي؛ بل بالعكس فهو كان من أشد المهاجمين لبدعة إسباغ شكل الجسد على الله المسمَّاة anthropomorphism، وله قِطَع كثيرة يُهاجم فيها مبدأ انطباع صورة الله على الجسد بهذا المعنى المنحرف (راجع: Responionssad Tiberium ١٠, ١٤, ١٠). ولكنه هنا في هذا النص يُريد أنْ يؤكِّد على أنَّ الطبيعة البشريَّة بأكملها بشقَّيها: الجسد والنفس، قد اكتست بصورة الله بمضمونها الرُّوحي.)

الصورة الإلهية، والكيان الشخصي للإنسان في الله:

إنَّ انطباع **الصورة الإلهيَّة** على الإنسان كَكُلٍّ، ستُنير رؤيتنا – وليتها تُنير رؤية العالم كله – بحقيقة قَدْر الإنسان في نظر **الله**.

فالآباء يؤكِّدون جميعًا، أنَّ كَوْنَنَا على **صورة الله**، فهذا يعني أنَّنَا نحوز كيانًا شخصيًّا لكلٍّ منَّا، كيانًا حُرًّا مسئُولًا. فمضمون **الصورة الإلهيَّة** في الإنسان، يعني خِلْقة الإنسان كائنًا حُرًا، مسئُولًا عن مشيئته:

﴿آدم كان حُرَّ الاختيار، واستُؤمن على أنْ يملك زمام إرادته، وهذا جزءٌ من الصورة؛ ذلك لأن الله يسود على مشيئته الخاصة أيضًا.﴾ (المرجع السابق: القديس كيرلُّس الكبير: على إنجيل يوحنا = ٩ : ١.. الخ ...).

﴿حيث سُلطان السيادة، فهناك صورة الله.﴾ (القديس باسيليوس الكبير: Struct. Hom.، ١,٨).

﴿«نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»، أي لكي يكون سيِّد كل ما هو منظور؛ وكذا سيِّد الشَّهوات المُتولِّدة فيه، أي لكي **يَتَسَلَّط** ولا **يُتَسَلَّط** عليه﴾ (القديس يوحنا ذهبي الفم: على سفر التكوين ٢٣: ٥).

لاحِظ أنَّ برهان **صورة الله** في الإنسان هو سيادتُهُ. ولكنْ سيادتُهُ تعني أوَّل ما تعني: سيَادتَهُ، لا على الطبيعة والخليقة غير الناطقة وغير العاقلة فقط، بل سيادتَهُ على **شهواته ونزواته أوَّلًا**: «**يَتَسَلَّط** ولا **يُتَسَلَّط** عليه». (ما أعجب الإنسان اليوم الذي وهو يتباهى بسُلطانه على الطبيعة يُنكر الله).

وقد نتساءل: وما هو قَصْد **الله** من خِلْقة الإنسان حُرًّا مسئُولًا عن إرادته؟

(قطعًا لأنَّ الله دعاهُ إلى دعوةٍ عُليا، دعاه إلى مصيرٍ وحياةٍ فائِقَيْنِ، أي **إلى الشركة في طبيعته الإلهيَّة**، إلى «الثيئوسيس» أو «التألُّه» أي مُشابهة **الله** بالنعمة، أي إلى الحركة الحُرَّة غير المُقيَّدة نحو **الحقّ والحياة**، كما رأينا في قول القديس باسيليوس والقديس أثناسيوس.

هذه الدعوة العُليا، أراد **الله** أنْ تكون الاستجابة لها استجابةً **حُرَّة**، وأنْ تكون هي استجابة **المحبة**. فالشركة والاتِّحاد مع **الله** لا يمكن أنْ يكونا بدون **المحبة**، وإلاَّ فهي أشبه باتِّحاد تروس عَجَلتين من الحديد معًا، **إنَّه اتِّحادٌ آليٌّ أصمُّ**.

أمَّا اتِّحاد **المحبة** فهو يَسْتَلْزِم **الحريَّة**، أي **قدرة الاختيار وقدرة الرفض** أيضًا. وهذا هو ناموس شريعة خِلْقة الإنسان منذ البدء:

﴿لقد شرَّع الله الحريَّة الذاتيَّة للإنسان.﴾ ﴿لقد شرَّف الله الإنسان بالحريَّة.﴾ (القديس غريغوريوس النزينزي: عظة ٤٥ على الفصح ٨.).

﴿الله يحترم الناموس القديم للحريَّة الإنسانيَّة.﴾ (القديس إيرينيئوس: ضد الهرطقات ٤: ٣٧: ١).

﴿الله لا يجذب أبدًا أي إنسان قَسْرًا إلى نفسه.﴾ (القديس يوحنا الذهبي الفم: على سفر الأعمال (على تجديد شاول).

ويؤكِّد هذه **الحقائق الإلهيَّة**، ما قاله **الله** بعد خِلْقة آدم: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ.» (تك ٣: ٢٢).

﴿ماذا كان خير النفس الأسمى؟ الاتصال بالله والاقتران به بالمحبة... ولماذا كانت النفس قادرة على الشرِّ؟ بسبب نزعة حريَّة الإرادة، تلك الموهبة المُعطاة للكائنات العاقلة. إنَّ النَّفس، وهي خالية من أيِّ إكراه، وقد توشَّحت من قِبَل الخالق بحياة الحريَّة إذ خلقها الله على صورته؛ امتلكت القدرة على استيعاب الخير... تمامًا كما كان لها الحريَّة أيضًا في الانصراف عن الخير.﴾ (القديس باسيليوس الكبير: Struct. Hom.، ١,٨).

هذه المحبة ليست عمياء – كما يقولون – ذلك لأنَّ «الحبّ» الذي يقولون عنه إنَّهُ «أعمى» ليس هو الحبّ بل هو «**الشهوة**». فالشهوة عمياء حقًّا، لأنَّها **تستعبد الإنسان لقوَّة الغريزة ووطأتها**.

والحبّ لا يكون إلاَّ بين «شخص» و«شخص»؛ أمَّا الشهوة فهي تنجذب للشهوة في الآخر كأنه «**شيء**» – دون اعتبار «**لشخصه**» – **فالغريزة** لا الحبّ هي التي **تجرُّ الإنسان وتُمْسِك بخِنَاقه** – فتجعله أعمى – لكي يشتهي مَا في الآخر أو مَا للآخر.

أمَّا «**الحبّ**» فهو شخصيٌّ، وهو قائمٌ على حريَّة كيان الإنسان من كلِّ دافع ووطأة. فهذه الحريَّة قد وُهِبْنَا إيَّاها من **الله** لتكون **خَتْم** شركتنا معه. إنَّها **عطيَّة الخالق** للإنسان يوم **ميلاده للحياة**. إنَّ **الله** يتعامل معنا كـ «**أشخاص**».

وصورة الله في الإنسان هي **محتَوَى هذا الحبّ ووعاء هذه الحريَّة**، هي كما يُحدِّدها القديس غريغوريوس النيصي:

﴿حقيقة التحرُّر من كلِّ حتميَّة الطبيعة، وعدم الخضوع لإلحاحها، بل القدرة على تقرير المشيئة بحريَّة.﴾ (القديس غريغوريوس النيصي: في تكوين الإنسان ١٦).

﴿ولكن لماذا لم نُهيَّأ لنكون «غير قادرين» على **الخطية**، فلا تصير لنا القدرة على **الخطية** حتى لو رغبنا في ذلك؟ الإجابة: هي نفس السبب الذي من أجله لا تَعتَبِر أنت عبيدك على ولاءٍ لك إذا جعلتهم تحت الغضب والإكراه، بل إذا مارسوا واجباتهم إراديًّا.

فالله لا يُبارَك **بالعبادة القهريَّة**، بل **بالعبادة النابعة من الفضيلة**، والفضيلة تنبع من اتِّخاذ القرار وليس من الاضطرار، والقرار يعني **حريَّة الإرادة**.﴾ (القديس باسيليوس الكبير: Struct. Hom. ١،٨).

﴿الله يدعونا، لكنَّهُ ينتظر منَّا أَنْ نأتي إليه بمحض مشيئتنا واختيارنا. لكننا حينما نأتي إليه يُؤَمِّن لنا كُلّ مَعونَةٍ.

النعمة لا تسبق إرادتنا حتى لا تجرح حريَّة قرارنا الذي نختاره. ولكننا حينما نختار، فالنعمة تُعطينا معونة جمَّة.﴾ (القديس يوحنا الذهبي الفم: على سفر العبرانيين: (عب ٧: ٢،٣) عظة ١٢).

أمَّا غاية **الحُريَّة**، فكما يقول القديسون: إنَّها لكي يختار الإنسان **طاعة الله**، كما قال الرسول بولس: «مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ» (أف ٢: ١٠). ويُسمِّي القدِّيسون هذه النزعة في الإنسان: «**شهيَّة العمل الصالح**». فالإنسان خُلِقَ حُرًّا وفيه «**شهيَّة**» العمل الصالح أو القداسة. **فالحريَّة** مُعطاة أصلًا للإنسان ليبلغ بها غاية خِلْقته إلى **مُشابهة الله**.

﴿لقد شرَّف الله الإنسانَ بالحريَّة حتى يصير له الخير بمحض اختياره.﴾ (القديس غريغوريوس النزينزي: على القيامة المقدَّسة: عظة ٤٥).

﴿طبيعة الإنسان غُرِسَتْ فيها الشهيَّة والرَّغبة لكلِّ نوعٍ من الصلاح، والإرادة لمُمارسة البرِّ والخير، وهذا هو معنى خِلْقة الإنسان على صورة الله ومثاله. وهكذا فهذا الكائن الحيّ بالطبيعة صالحٌ وبارٌّ. ولكن من حيث إنَّهُ لابُدَّ له أَنْ يكون ليس فقط عقلانيًّا ومهيَّأً لكل برٍّ، بل أيضًا مُشارِكًا الرُّوح القُدُس حتى يحوز السِّمَات المميِّزة للطبيعة الإلهية فيه؛ نَفَخَ (الله) فيه («في أنفِهِ») «نَسمَةَ الحياة» (تك ٢: ٧)، وهي بحسب القديس كيرلُّس الكبير: «**الرُّوح القُدُس**».﴾ (القديس كيرلُّس الكبير – على إنجيل يوحنا: ٣: ٥٥٢-٥٥٣).

ما هي إرادة الله ؟ – القديس باخوميوس الكبير

أقام باخوميوس في طابنيس حيث تبعه أخوه الأكبر يوحنا الذي جاء ليبحث عنه.

وفي أحدى المرات كان باخوميوس وشقيقه في إحدى الجزر مشغولَيْنِ بالحصاد بجوار طابنيس، تلك القرية المهجورة التي كانا يعيشان فيها كَمُتَوَحِّدَيْنِ، وعند المساء وبعد أَنْ أَنْجَزَا صلاتهما العاديَّة كان باخوميوس يجلس وحيدًا بعيدًا قليلًا عن أخيه، وكان يبدو عليه الحزن ويشعر بضيقٍ إذ كان يتوق إلى معرفة إرادة **الرَّبِّ**.

الملاك وحديثه مع القديس باخوميس الكبير

كانت الدنيا ظلامًا وإذا به يرى أمامه شخصًا مُضيئًا يقول له :

لماذا أنت حزين وقلبك في ضيق؟

فأجاب: إني أبحث عن إرادة الله.

قال له الشخص: هل تريد حقًّا أَنْ تعرف إرادة الله؟

فأجاب باخوميوس: نعم

فقال له : إنَّ إرادة الله أنْ تضع ذاتك في خدمة الآخرين لأجل أنْ تُصالحهم معه.

فقال له باخوميوس وقد أوشك أَنْ يغضب: إني أبحث عن إرادة الله وأنت تقول لي أَنْ أخدُمَ الآخرين!

فأجابه الشخص مُكرِّرًا ثلاث مرات:

إنَّ إرادة الله أَنْ تضع نفسك في خدمة الآخرين، لأجل أَنْ تدعوهم إلى الذهاب إليه، وأختفى الشخص بعد ذلك.

عند ذلك تذكَّر باخوميوس العهد الذي قطعه على نفسه عندما جُنِّدَ، وهرع المواطنون لنجدته، وقد عاهد **الرَّبَّ** بقوله: «**يا رَبُّ إذا كنتُ بمعونتك أنجو من الهلاك الذي أتعرض له، أضع نفسي في خدمة الآخرين لمجد أسمك**»، واعتقد أَنَّ هذا العهد كان حقًّا إلهامًا من **الرُّوح القُدُس**، إذْ أنَّهُ يتفق مع **لغة الشخص النوراني** الذي تحادث معه.

«يا ربُّ، لا تُقِمْ لهم هذه الخطيَّة» (أع ٧: ٦٠)

للقديس يوحنا الذهبي الفم
والقديس كيرلُّس الكبير

المسيحيَّة ورُوح الغُفران للمُسيئين:

لقد **تجلَّى** الغفران للمُسيئين والمُضطهِدين أوَّلًا في **شخص الرَّبّ يسوع**، الذي طلب من **أبيه الصالح** الغفران لكلِّ مُسلِّميهِ وصالِبيهِ، إذْ قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤).

ووصيَّة الغفران للمُسيئين إلينا، وَضَعَها **الرَّبّ يسوع** كشرطٍ أساسي لغفران **الله** لخطايانا وَسيِّئاتِنَا، سواء في الصلاة الربَّانية التي علَّمنا إيَّاها: «وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (مت ٦: ١٢)، أو عندما أوصانا قائلًا: «وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ زَلاَّتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لاَ يَغْفِرْ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ أَيْضاً زَلاَّتِكُمْ» (مر ١١: ٢٥،٢٦).

وتعاليم **الرَّبّ يسوع** الخاصة بالغفران للمُذنبين إلينا أو المُضطهِدين لنا، والتي طبَّقها **الرَّبّ فعليًّا على الصليب**، هي التي تَغَلْغَلَتْ في أعماق نفس القديس استفانوس رئيس الشماسة وأوَّل شهداء المسيحيَّة. فلم يَعْتَوِرْهُ كُرهٌ أو بُغضةٌ لراجميهِ، ولم يطلب مِنَ **الله** أنْ ينتقم مِنْ أولئك الكارهين، أو يُنزِل غضبه على مُضطهِديه؛ بل كانَ بينما يرجمونه بقسوَةٍ وشراسَةٍ، يدعو ويقول: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي»، إذا به يجثو على رُكبتيه ويصرخ بصوتٍ عظيم: «يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ». وبعد أنْ قال هذا الكلام الممسوح بنعمة الغفران لراجِميهِ، رقد في **الرَّبّ**. (أع ٧: ٥٩،٦٠).

ولكن، دماء هذا الشهيد الأوَّل للمسيحيَّة لم تُسفَك هَدَرًا، فبينما كان «شَاوُلُ (الطرسوسي) رَاضِيًا بِقَتْلِهِ» (أع ٨: ١)، و«كَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ» (٨: ٣)، و«لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّداً وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ»، بل لَمْ يهدأ بَالُهُ بكلِّ ما فعله **بالمؤمنين بالرَّبِّ يسوع** في أورشليم من تنكيلٍ واضطهاد، وإذا به يتقدَّم إلى رئيس الكهنة ويطلب منه «رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاساً مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (أع ٩: ١،٢)؛ إذا **بنعمة الرَّبّ** تتلامس مع قلبه وتنخَس ضميره، ويظهر له **الرَّبّ يسوع** بمجدٍ وبهاءٍ عظيمَيْن ليُخبره: «شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟». وعندما تعجَّب شاول من هذا الكلام، سأل **الرَّبّ**: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟»، أجابه **الرَّبّ**: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ» (أع ٩: ٤،٥).

هنا نستطيع أن نقول إنَّ دماء القديس استفانوس كانت كبذارٍ عَمِلَت في تُربة قلب شاول المُضطهِد، مسنودة **بنعمة المسيح الغنيَّة**، وقد شهد فيما بعد بولس الرسول قائلًا: «أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً. وَلكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ. وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدًّا مَعَ الإِيْمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا» (١تي ١: ١٣-١٥).

وليست دماء القديس استفانوس الزكيَّة التي سُفِكَت من أجل **المسيح**، كانت سببًا فقط في جذب شاول الطرسوسي إلى الإيمان، بل نستطيع أن نستشف أيضًا أنَّها عَمِلَت عملها الفعَّال في جَذب كثير من الراجمين إلى الإيمان، لأنَّ «دِمَاءَ الشهداء هي بذار الكنيسة».

وهذا ما فعله المؤمنون **بالرَّبِّ يسوع** على مدى الأحقاب والسنين، فبالرغم مِمَّا عانوه من ضيقات واضطهادات وعذابات حتى سَفْك الدَّم، إلَّا أنَّ قلوبهم – قبل شفاههم – كانت تطلب الغفران لمُضطهديهم؛ مِمَّا كان له أكبر الأثر في نخس قلوب أولئك القُساة

واجتذابهم إلى **المسيح**.

لقد أوصى **الرَّبّ يسوع** تلاميذه، ومِن بعدهم الكارزين والمُبشِّرين **بآسمه القدُّوس**، قائلًا: «اذْهَبُوا. هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ» (لو ١٠: ٣). وهنا نتساءل: ما الغرض مِمَّا قاله **الرَّبّ**؟ هل لكي تفتك **الذئاب المتوحِّشة بالحملان الوديعة**؟ أَمْ ليكون لاحتمال هذه الحملان لهذه العذابات – دون مُقاومة – حُبًّا في **الرَّبّ**، التأثير القوي على هذه **الذئاب المفترسة**؟ فليس عسيرًا عند **الرَّبّ**، أَنْ تتحوَّل هذه **الذئاب**، من كثرة امتصاصها لدماء الحملان، إلى حملان أيضًا؛ أي أَنْ تكون دماء هذه الحملان بذارًا تجتذب هذه **الذئاب المفترسة** إلى الإيمان المسيحي، وحينئذ يكون انتقام **الرَّبّ** هو بأن يقتلع الشَّرَّ والبُغضة من قلوب **الذئاب** ويجتذبهم إلى **الإيمان الحقيقي بِهِ!** أَلَمْ يحدث هذا – كما ذكرنا آنفًا – لشاول الطرسوسي؟ كما حدث أيضًا مع أريانوس الوالي، وغيره من المُضطهِدين الذين تحوَّلوا إلى الإيمان بفعل تأثير دماء الشُّهداء والمعترفين! «وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ،» (اعمال الرسل ١٩: ١٨).

المسيحيَّة وعدم الانتقام:

لقد أوصانا **الرَّبّ يسوع** قائلًا: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (مت ٥: ٤٣، ٤٤).

وردَّد بولس الرسول صدى هذه التعاليم الإلهيَّة قائلًا: «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا... لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَاناً لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ» (رو ١٢: ١٤، ١٩).

✝ ويُعلِّق القديس يوحنا الذهبي الفم على الآية: «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا»، قائلًا:

﴿لم يَقُل (بولس الرسول): «لا تنسوا الإساءة»، ولا قال: «يجب أن تُحاربوهم»؛ بل طلب ما هو أفضل بكثير من ذلك كلّه. لأنَّ هذه بالتأكيد هي سِمَة الإنسان الحكيم، بل هي بالأكثر صفة الإنسان الملائكي. فبعدما قال: «بَارِكُوا»، أضاف «وَلاَ تَلْعَنُوا»، حتى لا نفعل هذه ونترك تلك، بل نفعل شيئًا واحدًا، نُبارِك ولا نلعَن. خاصةً أنَّهُ بسبب هؤلاء الذين يضطهدوننا، ننال المكافأة. أمَّا إنْ كنتَ يَقِظًا، فستُعِدُّ لنفسك مكافأة أخرى، مِنْ خلال الذي يضطهدُكَ. لأنَّ ذاك سيُعطيك مكافأة مِنْ خلال اضطهادِهِ لكَ، بينما أنتَ ستُعطي لذاتك المكافأة مِنْ خلال مُباركتك له، مُظْهِرًا قَدْرًا عظيمًا مِنْ محبتك **للمسيح**. فإنَّ مَنْ يلعَن المُضطهِد، لا يشعر بالفرح، لأنه بهذا يكون قد رَفَضَ الألم لأجل **المسيح**، لكن الذي يُبارِك هو الذي يُظهِر محبته الكبيرة نحو **المسيح**.﴾ (تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، رو ١٢: ١٤، عظة ٢٣).

✝ ويستطرد القديس يوحنا الذهبي الفم في شرحه لهذه الآية، قائلًا:

﴿إذن، لا تُسِئْ إلى مَنْ يلعنك، لكي تُربِح نفسك مكافأة عظيمة، هذا الأمر لا يَضَعُ عليك التزامًا (فقط) بأن تُباركه، بل هو بمثابة احتفاء واحتفال؛ وليس نكبة ولا ضيقة. ولهذا فإنَّ **المسيح** قال أيضًا: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ» (مت ٥: ١١). ولهذا فإنَّ الرسل رجعوا فرحين، ليس لأنهم أُهينوا فحسب، بل لأنهم **جُلِدوا**. لأنه بالإضافة إلى ما سبق، ستربح مكافأة أخرى كبيرة، أَنْ تجعل أعداءك هكذا يتحيَّرون ويندهشون، وأَنْ تُعلِّمهم بالأعمال، أَنَّكَ تسير نحو **حياةٍ أخرى**. لأنَّهُ إنْ رآك (عدوُّك) تفرح، بل وتقفز من الفرح، فلماذا يُسيء إليك؟ (بل) سيعرف جيِّدًا أَنَّ لديك رجاءً آخر أعظم من مجرَّد الرجاء في الأمور الحاضرة... لأنَّهُ إنْ لاحَظ أَنَّكَ لا تتضايق بسبب الإهانات، بل **وتُبارِك**، فسيتوقَّف عن اضطهادك. إذن، لاحِظ مقدار المزايا التي تأتي من وراء ذلك، فإنَّ المكافأة ستصير أكبر بالنسبة لك، والتجربة ستصير أقل، والذي يضطهدك سيُوقِف اضطهاده، **والله سيتمجَّد**، وإيمانك سيتحوَّل إلى تعليمٍ عن التقوى لمَن يعيش في الضلال﴾ (تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، رو ١٢: ١٤، عظة ٢٣)..

ولكن ما المقصود من هذه الآية: «لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ»؟ (رو١٢: ١٩). هل هو عقابٌ صارمٌ من قِبَل **الرَّبّ** على المُضطهِدين لنا والمُسيئين إلينا، كما يتوقَّع ويفهم البعض؟

نتذكَّر عندما أرسل **الرَّبّ** أمام وجهه «رُسُلاً، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟». ماذا كان ردُّ **الرَّبّ يسوع** عليهما؟ هل وافقهما **الرَّبّ** على **شهوة الانتقام** هذه؟ فلنستمعْ إلى ما ذَكره الإنجيل في هذه الحادثة: «فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ» (لو ٩: ٥٢-٥٦).

✝ ويُعلِّق القديس كيرلُّس الكبير على هذه الحادثة، قائلًا:

﴿(الرَّبُّ) كان يعرف أنَّ أولئك الذين ذهبوا أمامه لكي يُعِدُّوا عن إقامته بينهم، لنْ يقبلهم السامريون؛ ولكنه سمح لهم أنْ يذهبوا لكي يكون هذا أيضًا وسيلة لفائدة الرُسل القدِّيسين. فما هو، إذن، الغرض مِنْ هذا الحادث؟ لقد كان (الرَّبّ) صاعدًا إلى أورشليم، إذْ أنَّ وقت آلامه كان يقترب، كان على وشك أَنْ يحتمل احتقار اليهود، وكان على وشك أَنْ يتعرَّض للإعدام على يَدِ الكَتَبَة والفرِّيسيين، وأَنْ يحتمل تلك الأشياء التي أصابوه بها حينما تقدَّموا لكي يُكمِلوا كلَّ عنفٍ وكلَّ تهوُّرٍ شِرِّير. لذلك، فلكي لا ينزعجوا (التلاميذ) حينما يَرَوْنَهُ متألِّمًا، إذْ يفهمون أنَّهُ يُريدهم هم أيضًا أَنْ يكونوا صابرين، وألَّا يتذمَّروا كثيرًا، حتى لو عاملهم الناس بازدراء؛ (لذلك) فهو كما لو كان قد جعل الاحتقار الذي تعرَّضوا له من السامريين، تدريبًا تَمهيدِيًّا في هذا المجال.

فالسامريون لم يقبلوا الرُسل، وكان مِنْ واجب التلاميذ، باقتفائهم آثار خطوات سيِّدهم، أَنْ يَحْتَمِلُوا ذلك بصبرٍ كما يليق بقدِّيسين،

وألَّا يقولوا عنهم أيّ شيء بغضبٍ، ولكنهم لم يكونوا بعد مُستعدِّين لهذا؛ ولكن إذْ تملَّكهم سخطٌ شديد، فإنَّهم كانوا يُريدون أنْ يطلبوا نزول نار من السماء عليهم، ولكن المسيح انتهرهم لأنهم تكلَّموا هكذا...

لذلك، فقد انتهر الرَّبّ التلاميذ لأجل منفعتهم، كابحًا جماح غضبهم بلُطف، ولم يسمح لهم أنْ يتذمَّروا بشدَّة ضدّ أولئك الذين أخطأوا؛ بل حثَّهم بالحَرِيِّ أنْ يكونوا طويلي الأناة، وأنْ يحتفظوا بقلبٍ غير مُتحرِّك بواسطة أي شيء من هذا القبيل...﴾ (تفسير إنجيل لوقا، لو ٩: ٥١-٥٦).

نعود إلى الآية: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ». فمِن خلال تعاليم **الرَّبّ يسوع** ومن مثال **حياته المقدَّسة**، نفهم أنَّ هذه النقمة ليست انتقامًا إلهيًّا مُريعًا يُبيد ويُهلك أولئك الظالمين؛ لكن بالحَرِيِّ هو نخسٌ لقلوب وضمائر المُسيئين والمُضطهِدين، تمامًا مثلما قال **الرَّبُّ** لشاول الطرسوسي: «صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ». هذه هي **النقمة الإلهيَّة**: «لكِنَّنِي لِهذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهِرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلاً («أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً») كُلَّ أَنَاةٍ، مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (١ تي ١: ١٣،١٦).

ويُردِّد القديس بطرس الرسول هذه **التعاليم الإلهيَّة** التي تسلَّمها من **الرَّبّ يسوع**، قائلًا: «غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً. لأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّاماً صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بَالْمَكْرِ، لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ... وَلكِنْ وَإِن تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ فَطُوبَاكُمْ. وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلاَ تَخَافُوهُ وَلاَ تَضْطَرِبُوا، بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ» (١ بط ٣: ٩-١٥).

وهكذا فإنَّ «كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ» (عب ١٢: ١١).

التجلِّي

للقديس يعقوب السروجي

بين العهدين القديم والجديد

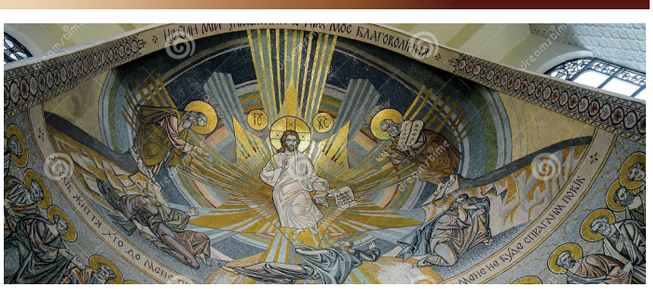

رأَى التلاميذ موسى وايليا على الجبل وكانا يتكلمان مع **مخلصنا** كما هو مكتوب،

رأوا بالحقيقة وليس بالشكل ولا بالشُّبه لكن بالحقيقة وجهًا لوجهٍ كما سمع،

لم يكن وقت الظلال والاستعارات لأنَّه لا يوجد في الصَّلبِ شيء مستعار،

لم يستَعِر **ربّنا** شكل الانبياء وجلبهم حتى يتكلَّموا معه على الجبل امام تلاميذه،

كل الرؤيا التي صارت هناك كانت حقيقيَّة لأنَّه اراد أنْ يبيِّن الحقيقة وليس الشكل

لو تظن بأَنَّ ايليا ليس ايليا، ولو تظن بأَنَّ موسى ليس موسى،

اذًا النور ليس نورًا كما قيل، ولا سمعان الموجود هناك هو سمعان.

لو لم يرَ سمعان موسى لما كان يطلب أنْ يصنع مظلة لموسى لانَّهُ لم يكن موسى

ليكن صدق سمعان شاهدا لذلك **التجلِّي** لانَّهُ عرف شخصيًّا الحقيقة ثُمَّ تحدَّث بها.

رأَى الرسلُ الانبياء وجهًا لوجهٍ وفرحوا، وجلبهم **ربّنا** ليجعلهم مُتَّفِقِينَ فيما بينهم.

جمعهم وخلطهم وساواهم لِتُسَبِّحُهُ الطغمتان بفمٍ واحد،

صار هو **الجسم والعهدان** صارا **يديه**، وكان يستعمل كليهما ليبين قُوَّته،

قاد الرسل ودعا الانبياء الذين هم قبلهم ليقول **الآب** بصوت عالٍ من هو **ولَدُهُ**،

جلب موسى الذي هو رأس النبوءةِ، ويوحنا الذي هو جمال الرسل،

دعا ايليا والحقه بسمعان رئيس التلاميذ لتليق به صلاحيَّة المفاتيح التي اخذها للبرايا

اتى موسى ليختم تعليمه، ومن هناك يبدأ سمعان كرازته،

ربّنا مثل وسيط **العهدين** ختم الواحد وبدأ بالآخر لأنَّهُ الوسيط.

بموسى اتت التوراة الى الجبل لتستريح هناك عند ذاك الذي اعطاها مع **والِدِهِ** على الجبل.

اقتربت البشارة عندها لتبدأ هي ايضًا في العالم، ولمَّا تهدأ تلك، تسري هذه بالكرازة.

التوراة هي مثل اليصابات ازاءَ **مريم العذراء**، وقد تاقت وسجدت لبشارة آل يوحنا.

من العهد القديم ارتقص ايليا (شخص يوحنا المعمدان) امام **ربّنا** مبتهجًا مثل اللاوي في بطن امه (يوحنا المعمدان بن زكريا الكاهن)،

العهد الجديد اقترب جسميًّا من العهد القديم ليربط الواحد بالآخر كَشَتلَتَيْن،

ولئلا يصنع **ابن الله** بداية اخرى لتعليمه فقد عقد العهد الجديد، في عقب النبوءةِ.

(ملحوظة: لاوي: وهو أحد أسباط بني إسرائيل الإثني عشر وقد عهد إلى هذا السبط شؤون الخدمة الكهنوتيَّة في المجتمع اليهودي بشكلٍ حصري.)

الإصحاح الأوَّل

تتمة العظة الرابعة : (١كو ١: ١٨-٢٥)

٤ – بَلْ وُجِدَ من بين هؤلاء، كثيرون ممنْ ٱحتقروا الموت، أَخبرني مَنْ هُم هؤلاء؟ هل هو ذاكَ الذي شَرِبَ السُّمَّ؟ إنْ أردتَ فأنا أستطيع أنْ أَذْكُرَ لكَ أمثال هؤلاء، آلاف من شعب الكنيسة، لأنَّه على الرغم مِمَّا حدَثَ في عصُور الاضطهاد من قَهْرٍ وإجبارٍ وشُربِ السُّمَّ، وتهديد بالتعذيب، إلَّا أنَّ الجميع ظهروا أكثر بهاءً رغم كُلِّ هذه الاضطهادات.

مِنْ ناحيةٍ أُخرى فهناك مَنْ شَرِبَ السُّمّ، وآخر تأَلَّمَ سواء أرادَ أَمْ لَمْ يُرِدْ، وَلَمْ يَكُن ذلك بكلِّ تأكيد دليلًا على الشجاعة، بل إنَّهم قد أُجبِروا على ذلك، لأَنَّ اللصوص والقَتَلة بعدما يُدانون بتصويت القضاء، فإنَّهم يُعانون ممَّا هو أسوأ. لكن بالنسبة لنا فيحدث العكس تمامًا، فإنَّ الشُهداء لم يحتملوا ولا صَبَروا على الآلام بدون إرادتهم، بل **بكامل إرادتهم**، وبينما كان بمقدورهم ألَّا يتألَّموا، إلَّا أنَّهم أظهَروا **شجاعةً وثباتًا قويًّا**.

إذًا أَليسَ هذا ما يدعو للإعجاب، أَنَّ ذاك الذي شَرِبَ السُّمَّ، بالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الأمرَ غير مرتبط بقبولِهِ مِنْ عدمِهِ، وكان مُتقدمًا في العمر وَسَرَى السُّمُّ فيه، لأنَّه قيلَ إنَّه كان في **سِنِّ السبعين من عمره عندما احتقر الحياة**. **(لَمْ يُسَمِّ القديس يوحنا الذهبي الفم هذه الشخصيَّة، فقد ترك الأمر هكذا دون إشارة للاسم، باعتبار أنَّ هذه الحادثة كانت معروفة لشعب الكنيسة آنذاك)**. يمكن بالطبع تسمية هذا الأمر بالاحتقار، إلَّا أنَّه مِنْ جهتي أَنَا على الأقل، لَنْ أُسميه هكذا، وربما لا يدعوه البعض أيضًا هكذا. لكن أُذْكُرْ لي أحدًا ظَلَّ هادئًا غير مضطربٍ أمام العذابات بسبب تقواه؟ أنا أستطيع أنْ أَذكُر لكَ آلافًا مِنْ هؤلاء في كُلِّ أرجاء المسكونة. مَنِ الذي عانَى وتألَّمَ بشجاعة عندما **نزعوا أظافره؟** مَنِ الذي تحمَّلَ الآلام بشجاعة عندما **ثقبوا مفاصله؟** مَنِ الذي تحمَّلَ الآلام عندما **حطَّموا جسده** أو **حطَّموا رأسه** رويدًا رويدًا ؟ مَنِ الذي تحمَّلَ هذه الآلام عندما **هَشَّمُوا عظامه** ؟ مَنِ الذي عانَى بشجاعة، عندما تركوه طويلًا فوق **مقلاة ملتهبة** ؟ مَنِ الذي تحمَّلَ الآلام، عندما ألقوه **في قِدرٍ به ماءٌ مغليّ** ؟ أُذْكُر لي هذه الإنجازات وهذه القُدرات، لأنَّهُ أَنْ يموتَ أحدٌ بالسُّمِّ، مُقارنةً **بهذه الميتات**، يكون مثل مَنْ يموت أثناء نوم، لأنّه يُقال بإنَّ هذا الموت هو أجمل مِنَ النوم.

فَإِنْ كانَ البعضُ قد تحمَّلَ العذابات أيضًا، فَمِنْ غير الممكن لهؤلاء أَنْ يُمتَدَحُوا، لأنَّهم ماتُوا لأجل سَبَبٍ تافه. فالبعض تعذَّبوا لأنَّهم أَفشوا سِرًّا، والبعض الآخر لأنَّهم تَطاولوا ضِدَّ طاغٍ، وَقُبِضَ على البعض الآخر وهُم يفعلون أعمالًا شائنةً وبذيئةً، خُلاصة القول إنَّ هناك مَنِ افتخر باطلًا وبدون هدف وبلا سَبَبٍ.

لكن ليسَ الأمرُ هكذا **بالنسبةِ لنا**. لأجل هذا فإنَّ أعمال هؤلاء لا يذكرها أحدٌ، أمَّا أعمال الرُسل، فقد ازدهرت وانتشرت، وفي كُلِّ يوم تزدادُ بهاءً. هذا تحديدًا قد وَضَعه الرسول بولس في اعتباره، لذلك يقول: « وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (١كو١: ٢٥). وَمِنْ حيثُ أَنَّ الكرازة هي **كرازة إلهيَّة**، فهذا واضح مِنَ الآتي: كيف يمكن **لاثني عشر رَجُلًا مِنَ البُسطاء** مُباشَرَةً مثل هذه الأعمال، وَهُم الذين عاشوا في الموانىء، والأنهار، والبراري، وربما لم يروا المدينة أو السوق ؟ كيف استطاعوا أَنْ **يُواجهوا** المسكونة كلّها ؟ وَمِنْ حيث أَنَّهم كانوا مُتحيِّرين وخائفين، فهذا ما أظهره الرسول بولس الذي كَتَبَ عن هؤلاء، ولم يتجاهل الحديث عنهم، ولم يُرِد أنْ يُغَطِّي على نَقائصهم، الأمر الذي يُعَدُّ أيضًا دليلًا قويًّا جدًّا على الحقيقة.

وماذا قالَ عن **تلاميذ المسيح** ؟ فعندما قُبِضَ على **المسيح**، تَركه البَعض، بَعدَما صنعَ أمامهم مُعجزات لا حَصر لها، أمَّا الذي بَقِيَ ولَم يذهب (أي القديس بطرس) فقد **أنكَرَهُ**. إذًا كيف لهؤلاء، الذين لم **يتحمَّلوا** هجوم اليهود عليهم، وقتَ أَنْ كانَ **المسيح** معهم بالجسد، أَنْ يتحمَّلوا **أفتراءات اليهود** الذين **أنكروا قيامة المسيح**، فقد قالوا بِأَنَّهُ ماتَ وَقُبِرَ، لكنه لَمْ يَقُم. **هكذا زَعَموا**، بل ٱدَّعُوا أَيضًا أَنَّهُ لَمْ يَرَهُمْ، ولَمْ

يتحدَّث معهم. كيفَ إذًا واجهوا المسكونة كلِّها، ونشروا فيها الكرازة؟ أَلَمْ يَكُن جائزًا أنْ يَقولوا لأنفسهم أيضًا (أي التلاميذ)، ما هذا أنَّهُ لم يَستَطِع أَنْ يُخَلِّص نفسه، فهل يستطيع أَنْ يحمينا؟ وعندما كان في هذه الحياة، لم يُدافع عن نفسِهِ، فالآن بعدما مات هل يُمكن أنْ يُعينَنَا؟ وفي حياته لم يَتوَجَّه إلى الأُمَمِ، ﴿**كما قال لتلاميذه**: «**إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، ... بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.**» (**مت ١٠: ٥-٦**)﴾، فهل سَنُقنِع نحنُ كُلَّ المسكونة، متكلِّمين وَمُبَشِّرين بِاسْمِهِ؟، وكيفَ يكون من المنطقي والمقبول، ليسَ فقط أَنْ نفعل هذا، بل حتى مُجَرَّد **التفكير** فيه؟

هكذا باتَ من الواضح، **إنْ لَمْ** يكونوا قد رأوه قائمًا، **وإنْ لَمْ** يَكُن لديهم دليلٌ أكيدٌ وكبيرٌ على **قُوَّتِهِ**، ما كانوا ليقبَلوا أَنْ يجوزوا أخطارًا بهذا القَدْرِ. لأنَّه حتى وإنْ كان لهم آلاف الأصدقاء، ما كان لهم أَنْ يجعلوا الجميع منذ البداية أعداءً لهم، لأنَّهم **هَدَموا العادات القديمة، وغيَّروا معايير تقاليد الآباء**. حقًّا فالجميع الآن ينظرون إليهم **كأعداء**، سواء من جانب أبناء وطنهم، أو مِنَ الغُرباء. حتى وإنْ كانوا موضع احترام وتقدير، بسبب مظهرهم الخارجي، أَلَمْ يَكُن مِنَ الطبيعي أَنْ ينصرف عنهم الجميع، لأنَّهم **فَرَضوا نَمَطًا جديدًا من الحياة**؟ لكن الآن قد تركهم الكُلّ، وكانَ متوقعًا لأجل هذا السبب، أَنْ يُصبِحوا **مُبغَضين، وَمُحْتَقَرِينَ** مِنَ الجميعِ.

إذًا مَنْ تُريد أَنْ أذكره؟ هل **اليهود**؟ لقد كانوا يكرهون الرُسل **كراهِيَة** لا حدود لها. ولا تُوصَف، وقد ظهر هذا في كُلِّ ما صنعوه **بالمُعَلِّم**. هل أَذكر لَكَ **الوثنيين**؟ بل وهؤلاء أيضًا مثل اليهود تمامًا، قد أبغضوهم، وهذا قد أعلنوه في كُلِّ مكان. إنَّ أفلاطون الذي أرادَ أَنْ يستحدِث نظام حُكمٍ جديد، وربما لَمْ يُرِد أَنْ يَنقُل جزءًا مِنْ هذا الحُكم خاصًا بتقليد الآباء المتعلِّق بالآلهة، لكنَّه أدخَلَ بعض الأعمال بدلًا من أعمال أُخرى، وبعدما طُرِدَ مِنْ **صِقِلْيَة** تعرَّضَ لمحاولة قتل، وعلى الرغم من فشل ذلك إلَّا أنَّه فقد حُرِّيتُهُ. وإنْ لَمْ يَكُن هناك واحد من البربر قد نجح في أَنْ يُهَدِّىء من غَضب **طاغية صِقِلْيَة**، فإنَّه لا شيء كان يمكن أَنْ يمنع هذا الفيلسوف (أفلاطون) مِنَ الشعور بِأَنَّهُ **عبدٌ في بلدٍ غريب**. وكما هو معروف، فإنَّ هناك فارقًا كبيرًا بين أَنْ يُدْخِلَ شخصٌ تعديلًا على موضوعات تتلعَّق بالمملكة، وآخر يُدخِل **تجديدًا في موضوعات تتعلَّق بالعقيدة الدينيَّة**، لأنَّ هذا يُثير الانزعاج والقَلق والتوتُّر لدى الناس. أَيْ أَنَّهُ إذا قالَ أحدٌ أَنَّ هناكَ شخصَيْن قد اقترنا بواحدةٍ من النساءِ، أو قالَ إنَّ الحراسات القائمة على حماية المدينة هي حراسات تتمّ بطريقةٍ عشوائيَّة، فَإنَّ هذا لا يُمكن أَنْ يُثير ضوضاء كبيرة، وبالحريّ عندما لا يتضَمَّن القانون المكتوب أَيَّةَ جزاءات ثقيلة على مثل هذه الأقوال. أَمَّا إذا قال أحدٌ إنَّ الآلهةَ التي تُعبَد ليست آلهةً، بل هي **شياطين**، وأَنَّ **المصلوب هو الله**، فستدرُكون على الفور مدى الغضب، وكم الاتهامات، وحجم الحروب التي يمكن أَنْ تُثيرها هذه المقولات.

أَيضًا فيما يتعلَّق **ببروتاغوراس**، لأَنَّه تجرَّأَ فقط وقالَ: «أَنَا لا أَقبل الآلهة» (**بروتاغوراس**، ١٨٥ قبل الميلاد، يُعَدُّ أَعظم سفسطائي ظَهر في العالم القديم، وُلِدَ في ثراكي. عَلَّمَ في كُلِّ أرجاء العالم اليوناني القديم، وبشكلٍ خاص في أثينا، وهناك قُرِأَ لأَوَّل مرَّةٍ كتابه «عن الآلهة» والذي عبَّرَ فيه عن شكوكه في وجود الآلهة)، وعلى الرغم مِنْ أَنَّهُ لم يَطُفِ المسكونة كلَّها ليُنادي بهذا الرَّأي، بل قالَه هذا في مدينةٍ واحدةٍ فقط، فقد تعرَّضَ لخطر الحُكم عليه بالموت. أيضًا فإنَّ كُلًا مِنْ **ذياغوراس الميليسيوس وثيودورس الملقَّب بالمُلْحِد**، بالرغمِ مِنْ أَنَّهما كان لهما أصدقاء، ويتمتَّعان بقوَّةٍ سياسيَّةٍ – بسبب فصاحتهما – وكانا موضع إعجاب الكثيرين، بسبب فلسفتهما المتميِّزة، إلَّا أَنَّهُما لم يَنتَفِعَا بأيِّ شيء مِنْ كُلّ هذا، بل إنَّ **سُقراط العظيم**، بالرغمِ مِنْ تفوُّقِهِ على الجميع في الفلسفة، فقد تحدَّث عن **سموم الالهة**، ولكي يتجنَّب **المحاكمة الأكيدة**، ترك أثينا، وفقدَ كتاباته. ولهذا أصبحت أحاديثه وتعاليمه عن الآلهة، موضع اتِّهام. ﴿ملحوظة: **ذياغوراس**: ينحدر من جزيرة ميلوس اليونانيَّة، عاشَ في أثينا في النصف الثاني مِنَ القرن الخامس قبل الميلاد، وقد حَكَمَ عليه أهل أثينا بالموت، بسبب عدم تقديره للآلهة. قد أُفلِتَ مِنْ تنفيذ العقوبة، عن طريق رحيله إلى بيلوبونيسوس.

ثيودُروس الملَقَّب بالمُلْحِد: فيلسوف مِنْ كريني المصرية، علَّم في أثينا حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، أراؤه الفلسفيَّة كانت تَتسِمُ بالجرأة في عصره، وخاصة تلك المتعلقة بالآلهة. نُفِيَ خارج أثينا، ورَحَلَ إلى مصرَ، والتي نُفِيَ منها أيضًا إلى بلاد اليونان.﴾

فإنَّ كانت شبهة التجديد فقط، قد أثارت كُلّ هذا الخطر الكبير، تُجاه فلاسفة وحُكماء كانوا يتمتَّعون بمكانةٍ لا حدودَ لها، وقد فَشِلوا في أَنْ يُحَقِّقُوا كُلّ ما أرادوا، بل وفقدوا وطنهم وحياتهم، فكيف لا تندهش ولا تُذهَل، وأنتَ تَرى **الصيَّاد البسيط** وهو يصنع كُلّ هذه الأعمال العظيمة في المسكونة كلِّها، وقد **حقَّقَ** كُلّ ما كان يهدف إليه، **وتَفَوَّقَ** على البرابرة واليونانيِّين؟ وهؤلاء لَمْ يُدْخِلوا آلهة غريبة، كما فعل القدماء. إذًا فأنتَ تطرح أمرًا هو بالنسبة لي موضع إعجاب للغاية، وهو أَنَّ التجديد مزدوج، أي **تجريد الآلهة** التي كانت سائدة مِنْ **رتبتها**، وأَنَّ الكرازة هي **بالمصلوب**.

كيف أراد لهم أَنْ يكرزوا بمثل هذه **الأفكار الجديدة**؟ كيف كانت لديهم كُلّ هذه الشجاعة في نهاية حياتهم؟ مَنْ سَبَقَ هؤلاء الرُسل وحقَّق شيئًا مثل هذا، وقد كان بإمكانهم أَنْ يُدرِكُوا هذا الأمر؟ أَلَمْ يسجد أولئك الوثنيُّون **للشياطين**؟ أَلَمْ **يُؤَلِّه جميعهم عناصر الطبيعة**؟ أَلَمْ يَكُن أُسلوب حياة الجاحدين غير المؤمنين، مختلفًا؟ إلَّا أَنَّ الرُسل تَصَدَّوا للجميع، ونَقَضوا كُلّ هذه الأفكار المُلحِدة، وطافوا كُلّ المسكونة في فترةٍ زمنيَّةٍ قصيرةٍ، كما لو كان لديهم أَجنحة، ودون أَنْ يَضعوا اعتبارًا للأخطارِ، ولا للموتِ، ولا للصعوباتِ التي يُمكن أَنْ يلاقوها، ولا لقلَّةِ عددهم في مواجهةِ أعدادٍ غفيرةٍ ستواجههم وتُقاومهم. هذا لم يَضعوه في اعتبارهم، ولم يحسبوا له حسابًا للسُّلطَةِ، ولا للولاةِ، ولا لفلسفة المقاومين، إذْ كان لديهم حليفٌ ومُعينٌ أعظم مِنْ كُلِّ هؤلاءِ، وهو **المصلوب الذي قامَ من بين الأموات**.

إذًا ما كان لهم أَنْ يستحقُّوا الاعجاب وهذه الدهشة، لو أَنَّهم فَضَّلوا أَنْ يَشنُّوا حربًا محسوسة ضِدَّ العالم، مثل الحرب التي تُدار الآن، لأَنَّهُ وفقًا لقانون المعارك، سيكون ممكنًا أَنْ يَقِفوا في مواجهة الأعداء،

وبعدما يأخذون موقع المواجهة، يصطفون ضِدَّ مُحاربيهم، ويُهاجموهم، ويشتبكون معهم. إلَّا أَنَّ شيئًا مِنْ هذا لم يحدث هُنا، إذْ أَنَّه لا يوجد معسكر خاص بهم، لأنَّهم مُختَلِطونَ بالأعداءِ أنفسهم، وهكذا تفوَّقوا عليهم، وبينما كانوا يعيشون بين الأعداء، فقد نجوا مِنْ إلقاءِ القَبض عليهم مِنْ قِبَل هؤلاء، وتفوَّقوا وانتصروا نصرًا بَهِيًّا، وبذلك تحقَّقت النبوَّة التي تقول: «وتسود في وسط أعدائك» (مز ١٠٩: ٢). أيّ أَنَّ هذا يُثير كثيرًا مِنَ الدهشة، فبينما كان الأعداء يحتجزون هؤلاء الرُسل ويَلقُون بهم في الحبس مُقَيَّدين، إلَّا أَنَّهم لم يتفوَّقوا قَطْ، بل إنَّهم بعد كُلِّ هذا خضعوا لهم، **فالجلادون** خضعوا **للمَجْلُودين**، والسجَّانون خضعوا للمقيَّدين، والمُضْطَهِدون خَضعوا لمن رَزَحوا تحت نير الاضطهاد. إذًا فَلْتُعَلِّم الوثنيين بكلِّ هذا، بل وربما أكثر مِنْ هذا، (خلال البشارة بالمسيح) لأَنَّ **الحقيقة الكاملة والقويَّة هي في جانبنا**. وإنْ تَتَبَّعتُم الموضوع، فسوف أعرض لكم تطورات المعركة بِرُمَّتِهَا ضدّ هؤلاء الأعداء، لكن لنحتفظ بأمرَيْن هَامَّيْن:

أ – كيف انتصَر الضُعفاء على الأقوياء.

ب – وكيفَ أَتَى إلى ذهنهم أَنْ يُفَكِّروا في مثل هذه الأعمال، وهُم ضعفاء للغاية، إنْ لَمْ يكونوا قد تمتَّعوا **بمعونة الله**.

٥ – هكذا هي أمورنا دائِمًا، فنحنُ في أعمالنا يجب أَنْ نُقَدِّم إنجازات الحياة اليوميَّة، وَلْنُشعِل نار الفضيلة بِشِدَّةٍ، لأنَّهُ يقول: « تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ.» (في ٢: ١٥). لقد أعطَى **الله** لكلِّ مِنَّا فائدة تتجاوز فائدة الشمس، وهي أكبر مِنَ السماء، والأرض، والبحر، وأكبر بقدرِ ما تمتاز الروحانيَّات عن المحسوسات. إذًا عندما ننظر إلى قُرص الشمس، ونُعجَب بجمالها وضِيائها فَلنُفَكِّر أيضًا في أَنَّ النور الذي بداخلنا، إنَّهُ أعظم بكثير مِنْ نور الشمس. **إنَّ الظلام مُخيف**، إنْ لَمْ ننتبه جَيِّدًا، ونلاحظ كيف نَسْلُك في جِدَّة الحياة، لأنَّ ليلًا حَالِكَ الظلام في كُلِّ المسكونة، هذه الظُلمة يجب أَنْ نَقضِي عليها. هذه الظلمة لَنْ تَسود فقط على الهراطقة، واليونانيين، بل على الكثيرين منَّا، مِنْ خاصتنا، إذَا مَا تعلَّقَ الأمرُ بالعقائد الإيمانيَّة، فالكثيرون **يتشكَّكون في القيامة**، يُؤَمِّنون أنفسهم، بأُمورٍ مترتبةٍ على الخَلْقِ، كثيرون يُسَلِّمونَ أنفسهم **لِرَصد الظواهر الطبيعيَّة، والتنجيم** بحسب **كليذُوناس** (وهو نوع من التنجيم يتمثَّل في لُعبةٍ تُمَارَسُ بشكلٍ خاص مِن قِبَل الشباب في احتفالٍ خاص)، **والعرافة، والرموز، البعض الآخر يستخدم تعاويذ وأَناشيد سِحريَّة**، وسَنُجيب على هؤلاء فيما بَعد، عندما ننتهي من الموضوعات المتعلِّقة بالوثنيَّة. وحتى ذلك الحين تَمَسَّكوا جيِّدًا بكلِّ ما قيل، وشاركوا أنتم أيضًا معي في جانبٍ مِنَ المعركة، جاذبين هؤلاء إلينا، لكي يَنْعَموا **بالعطايا الإلهيَّة**، ويتمتَّعوا بالحياةِ الحقيقيَّة معنا. هذا ما أقوله على الدوام، إنَّ ذاكَ الذي يُعلِّم الفلسفة، ينبغي أوَّلًا أنْ يُعلِّمها لِنَفسِه، ويجب أنْ يكونَ موضع تقدير المستمعين إليه.

إذًا فلنَسعَ لِنَكون موضع تقدير الجميع، وَلْنَجْعَلِ الوثنيِّين يُقبِلون إلينا بكامل إرادتهم وحرِّيتهم. وهذا سيحدث، إذا كُنَّا مستعدِّين لا لأَنْ نقبَل المشاق والمتاعب فحسب، بل أَنْ نقبَل الإساءة وأَنْ نُعاني الآلام. أَلَا نرى الأطفال عندما يكونون في أحضان آبائهم، كيف أَنَّهم يَلطمون مَنْ يحملونهم، وكيفَ يَقْبَل الأب ويسمح بِكُلِّ رِضًى لابنهِ أَنْ يُعَبِّر عن غَضَبِهِ، ويفرح عندما يراهُ وقد أرضَى غيظه؟ هكذا نصنع نحنُ أيضًا، فلنتحدَّث مع الوثنيين كَأبناء نحو أبناء، لأنَّ جميع الوثنيِّين أطفال، وقد قالَ البعض هذا عنهم: «هؤلاء على الدوام هُمْ أطفال، ولا يوجد وثنيّ شيخ (في الحكمة)» (Πλατ. τίμαιος 22B) **بلات تيمييوس ٢٢ب**). الأطفال لا يهتمُّون بأي شيء مُفيد، هكذا هُمُ الوثنيُّون، إنَّهم يرغبون أَنْ يلعبوا ويَعبثوا بصفةٍ دائمة. وأَنْ يتواجدوا في الوضع السفلي، لأنَّ اهتماماتهم مُوجَّهة نحو الأمور السُفليَّة، ويَسعون دومًا نحو الأرضيات. إنَّ الأطفال لا يفهمون شيئًا عندما نُناقشهم في ضروريات الحياة، بل نجدهم يضحكون بصفةٍ دائمة، هكذا الوثنيون، عندما نتحدَّث معهم عن ملكوت السموات يضحكون. وكما أَنَّ اللُّعاب الكثير الذي ينزل مِنْ أفواه الأطفال يُلَوِّثُ الطعام والشَّراب، هكذا هي الأقوال التي تنساب مِنْ أفواه الوثنيين، **باطلة ودنسة**. وإنْ أُعْطِيْتْ لهم الأطعمة الضروريَّة، فإنَّهم يُحزِنون مَنْ يُقَدِّم لهم تلك الأطعمة، وذلك مِنْ خلال **التجديف**، وعلى المرء أَنْ يحتملهم ويصبر عليهم حتى النهاية. أيضًا عندما يرى الأطفال لِصًّا يأتي إلى بيتهم وينزع محتوياته، فهم ليسَ فقط لا يتصَدَّون له، بل يلهون معه، لكنهم يحزنون ويتضايقون بغضبٍ شديدٍ، إذا اقتربَ من سلَّة ألعابهم.

هكذا هُم الوثنيُّون فبينما يَرَوْنَ **الشَّيطان** ينزع عنهم كُلّ ميراثهم الذي تركه آباؤُهم ، تجدهم يَأْنَسُون له كمن يركضون نحو صديق، لكن إنْ نَزَعَ أحدٌ منهم شيئًا مِنْ مُتعلقاتهم، أو أيِّ شيء مثل تلك التي للأطفال، فإنَّهم يَحزَنون، ويَتضايقون. وكما أَنَّ الأطفال يتجرَّدون مِنْ ملابسهم دون إحساسٍ بالخجل، هكذا الوثنيون يتجوَّلون مع عاهراتٍ وزانياتٍ، ويتخطون أو يتجاوزون ناموس الطبيعة، ويبتدعون زواجًا غير شرعي، ولا يرجعون عن هذا، وَمِنَ الممكن أَنْ تُصَفِّقُوا وتمتدحوا هذه الأمور، لكن انتبهوا، لئلَّا يُقال عنكم كُلُّ ذلك.

لأجلِ هذا أترجَّاكم جميعًا أَنْ تَتَّسِمُوا بالرُّجولَة، لأنَّهُ إنْ كُنَّا نحنُ أنفسنا أطفالًا، فكيفَ سَنُعَلِّم إولئك أَنْ يكونوا رِجالًا؟ كيفَ سنمنعهم مِنْ أَنْ يَسلكوا بِحماقةٍ، هكذا كالأطفال؟ إذًا لنكن رِجالًا، لكي نَصِل إلى السِّن «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أف ٤: ١٣). التي حدَّدها لنا **المسيح**، ولكي ننال خيرات الدهر الآتي، بالنعمةِ ومحبة البَشر اللَّتين **لربنا يسوع المسيح** الذي يليق به **مع الآب والرُّوح القُدُس**، المجد والقوَّة والكرامة إلى الأبدِ، آمين.

(يتبع في العدد القادم)

«بمناسبة صوم العذراء الدائمة البتوليَّةِ مريم»: إنَّ الصوم الحقيقي هو سجن الرذائل وأعني ضبط اللسان و إمساك الغضب و قهر الشهوات الدنسة. « القديس باسيليوس الكبير»

الفصل الثامن عشر

(تابع من العدد السابق)

فَأَكَّدَت كاترينا:

– «أنتِ على حَقٍّ، فإنَّهُ لا يُمَيِّزُ بين الناس».

وتابعت كريزَنتيا:

– «كيفَ أَشرحُ لَكُنَّ ما يحدُث لي؟ ... منذُ أَنْ بدأتُ أعترف له وأتناول القربان المقدَّس تحت يده، صِرتُ أشعر بسعادة جديدة لا يُمكن أَنْ يعكرها شيء ولا حتى فكرة الموت».

وقالت الأم ليني:

– « آه كم أنتِ على حقٍّ يَا أُختي الصغيرة، فأنا أشعر بالأمرِ نفسه، أنا الشقيَّة».

والتقت نظرات الأُم ليني وكاترينا للحظةٍ:

– «ما رأيك يا كريزَنتيا لو أصبحنا راهبات؟ هل ترغبين بأنْ نُشَكِّل جماعة نحنُ الأربع مع الملاك الصغير؟».

وفجأة قفزت الضريرة مِنْ مكانها وأجهشت بالبكاء وهي تقول:

– « **يا رَبِّي ... يا رَبِّي...**».

وعندها بدأت الفتيات كُلّهنَّ بالبكاء، وقد لزمهنَّ وقتٌ طويل حتى يتمالكن أنفسهنَّ. ثمَّ قالت كاترينا وهي تبكي:

– « ليتَ هذه الساعة المباركة تأتي قبل أَنْ أموت».

وكانت أنجيليكا تبكي أيضًا، فقالت لها الأم ليني:

– « لا تتسَرَّعي. فأنا أكبرك بأربعة عشر عامًا، وأتمتَّع بخبرة أوسع مِنْ خبرتك. وأعرف أَنَّ الحياة الرهبانيَّة شديدة القَسوة.»

– « أنتِ تتساءلين كيفَ سوفَ نعيش ... حسنًا أنتِ على حقّ، لأنَّني مثل كريزَنتيا لا أملك المال».

فصَرخت أنجيليكا بلهجة الانتصار:

– «أنا عندي مِنَ المال ما يكفينا كلّنا: عندي آلة عظيمة، آلة رتق الجوارب!».

فضحكت الفتيات. ثم تابعت الأم ليني:

– « وليسَ هذا فقط، بل أنا كمُمرضة سوفَ أتَقاضى راتبًا تقاعُدِيًّا حتى موتي، إضافةً إلى ما جمعته مِنَ المدَّخَرات الصغيرة.»

– «إذن».

فتمتمت الضريرة:

– «وفي جميع الأحوال سوفَ نعمل هناك أيضًا. فكُلّ ما نُحاول أَنْ

نفعله هنا في العالم، سوفَ نقوم به وبشكل أفضل في الوحدة».

فقاطعتها الأُم ليني قائلةً:

– « لكني أتكلّم عن أمرٍ آخر.»

– «تتساءلين إلى أَيْنَ سنذهب؟»

– « بالضبط. هل سندخل أحد أديار الراهبات المعروفة، أَمْ أَنَّنا سننهي حياتنا في الغابات كالنساك ...؟».

فسألت كاترينا:

– «أتعلمين ... وَلِمَ لا نُفَاتِح بالأَمر ...؟»

– «مَنْ ؟»

– « أبانا الروحي».

فقالت الأُم ليني بلهجةٍ جدية:

– « فكرة ممتازة. إلَّا أَنِّي أخجل مِنْ طلب موعد جديد منه. لقد أزعجته كثيرًا باعترافاتي ولم يمضِ عليَّ وقتٌ طويل منذ اللقاء الأخير معه ...».

فقالت كريزنتيا بخجل:

– «أنا سأُفاتحه بالأمر».

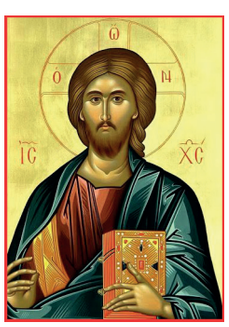

ثمَّ تبادلت الفتيات القُبَل باكيات، وامتلأت الضريرة بالحماس فرسمت إشارة الصليب على صدرها ثلاث مرَّات وراحت تنشد بصوتٍ خفيض أحد هذه الأشعار التي كانت تؤلِّفها في السرِّ ولا يعلم بها أحد:

« إنَّ نفسي الشقيَّة تحزن، وتذرف الدموع، وتصرخ بكلِّ قواها باسم الرَّبِّ يسوع ».

(التتمة في العدد القادم)

« سوف يكون المال بالنسبة لكَ مجرَّد أجرة سفر لرحلة، لا كشيء يحرِّض على الجشع، بل كشيء تُوظِّفُهُ لحاجة، لا للمُتَع والملذات. أَحْبِبَ ٱللهَ ... استخدم العالم، لا تجعل العالم يستولي عليك. أنت في رحلة، هذه الحياة هي فندق. إستخدم المال والممتلكات كما في فندق. فالمسافر يستخدم المائدة والكأس والإبريق والسرير. كشخص يستعد للرحيل، لا كشخص مقيم ». المغبوط أغسطينوس

التطويبات

طوبى للمساكين بالرُّوح (7)

المُؤلِّف: هو الأب أنتوني م. كونياريس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم اليونانيّة (الروميَّة) الأرثوذكسيَّة في مينيابوليس،في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وهو يتميَّز بغيرة رسوليَّة حارَّة. كان مسئُولًا عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجحَ من خلال كتاباته في جعل الروميَّة الأرثوذكسيَّة للشباب رسالة ذات تقليد حيّ، تتقبَّل كُلّ ما هو حقيقي وجميل، وترفض كُلّ ما هو زائف وفاسد.

آباء البريَّة:

خُطوة أُخرى نَحو الاتضاع هي عدم الثقة **بالشيطان** حينما يتملَّقنا.

أَخبَرنا آباء البريَّة القصة التالية لتوضيح هذه النقطة:

« جاءَ الشيطان ذات مرَّة لأحد الأخوة متشبهًا بملاك نوراني وقال له: " أنا جبرائيل وقد أُرسلتُ إليكَ". فقال له الأخ بِاتِّضاع: "أُنظر فقد تكون أُرْسِلْتَ إلى أحد غيري، أَمَّا أَنا فَإِنِّي غير مستحق"، وللوقتِ اختفى الشيطان.»

لقد اعتاد الآباء القدامى أَنْ يقولوا: « حتى لو ظهر لكَ ملاك حقيقي فلا تستقبله بلْ ضَع نفسك قائلًا: إنِّي غير مستحقّ لرؤية ملائكة لأني إنسان خاطىء».

القديس ثيوفان الناسك:

القديس ثيوفان الناسك يُعلِّمنا أَنَّ التواضع يُقتَنَى بأعمال التواضع؛ والمحبة بأعمال المحبة، ويضيف:

«أحيانًا يترك الرَّبّ بعض الضعفات أو العيوب فينا، كي نتعلَّم الاتضاع، لأَنَّ بدونها فإنَّنا سنُحَلِّق فوق السحاب في تقديرنا لأنفسنا، ونَضَع عرشًا هناك، وهناك يكمن الجحيم».

الطاعة كطريق آخر للاتضاع:

طريق آخر للاتضاع هو الطاعة. كتبَ **تيتو كولياندر** في كتابه **طريق النساك:**

« الطاعة هي قبر الإرادة، ولكن منها يقوم الاتضاع».

آباء الكنيسة يعلّموننا أَنَّ عمل النُساك ليس فقط طريق اقتراب الشخص مِنَ **الله**، بل إنَّ المطلوب حقًّا هو الاستشهاد في الطاعة. هذا يستطيع أَنْ يُقَلِّل مِنْ قوَّة قبضة الأَنَا أكثر مِنْ صومٍ طويل. لأجل هذا السبب كتبت **الأُم سينكليتيكا** تقول:

« الطاعة هي أفضَل مِنَ النُسك، فالنُسك يُعلِّم الكبرياء، أَمَّا الثانية فتُعلِّم التواضع. فبالطاعة نُقدِّم إرادتنا الخاصة لله، وبهذا فإنَّنا ننزع كُلَّ حُبّ خاطىء للذَّات الذي هو سبب جميع شقائنا».

الله يضع عصابات على أعيننا

يخبرنا آباء البريَّة أَنَّ **الله** يضع عادة عصابات على أعيننا كي يحمينا مِنْ أَنْ نري الخير الذي نفعله فَنُمَجِّد أنفسنا.

قالَ شيخ:

«لَوْ أَنَّ الفلَّاح لا يَضع عصابة على عينيِّ الثور الذي يدرس، فإنَّه لَنْ يُحرِّك الطاحونة، وسيأكل تعب الفلاح. هكذا الحال بالنسبة إلينا، فبالتدبير الإلهي يضع **الله** على أعيننا عصابة تمنعنا مِنْ رؤية الخير الذي نفعله لئلَّا نُمَجِّدَ أنفسنا ونخسر جعالتنا. ولهذا السبب نحنُ نُسَلَّم أحيانًا إلى **الأفكار الشِّريرة**، وعندئذٍ نجد أنفسنا مستحقَّة للملامة. هذه **الأفكار الشِّريرة** هي العصابة التي تُخفِي عن أعيننا الخير القليل الذي نفعله، وفي الحقيقة فإنَّه في كُلِّ مرَّة يلوم فيها الشخص ذاته لا يخسر مكافأته».

نَرى مثالًا لتلك العصابة فيما يذكره الإنجيل في (مت ٢٥: ٣٤-٤٠) حيثُ يذكر:

«ثمَّ يقول الملك للذين عن يمينه: «تعالوا إليَّ يا مُبارَكي أبي رِثوا المُلك المُعَدّ لكم ... لأني كنت جوعانًا فأطعتموني ... »، فيجيبه الأبرار حينئذ: « يا ربّ متى رأيناك جائعًا فأطعماك؟ ...».

أولئك الذين رَحَّبَ بهم **يسوع** في ملكوته، لم يعتقدوا أَبدًا أَنَّهم كانوا يُطعمون **المسيح**، إلى أَنْ عَلِمُوا ذلك في يوم الدينونة. هذا كان بسبب اتضاعهم وإنكارهم لذواتهم وبساطتهم.

وعلى العموم، فإنَّ آباء الكنيسة يُؤمنون بأنَّ هذا التواضع يتكوَّن وينمو من خلال الصلاة اليوميَّة **والتناول** والتغذية الرُّوحيَّة على كلمات الكتاب المقدَّس، ووجود **الرُّوح القُدُس** فينا، وممارسة أعمال الاتضاع.

تُخَصِّصُ كنيستنا أحدًا لتحتفل **بالآباء** الذين شاركوا في المجمع المسكوني الرابع الذي ناقش واختتم بشكل نهائي طبيعتي **المسيح**. إنَّ المقطع الإنجيلي الذي يُقرأ في الكنائس مُكَرَّسٌ لهم وهو مِنْ عظة ربّنا على الجبل. **المسيح**، كإله وإنسان، يدعو **تلاميذه** بنور العالم. دعونا ننظر إلى كلمات **المسيح** عن كثب.

ماذا يعني مثال النور؟

قال **الرَّبُّ لتلاميذه**. «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ. أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى٥:١٣).

بالحديث عن **الملح والنور والسراج**، فإنَّ مثال النور أسمى. بحسب **القديس يوحنا الذهبي الفم**، عندما يتحدث عن المدينة الواقعة على التَلّ، والتي **لا** يمكن إخفاؤها، فإنه يعني: «طريقة عيش صارمة وحياة نقيَّة». إنَّهُ يدرّبهم ليكونوا مستعدين لخوض المعارك التي ستواجههم عند نشرهم للإيمان، لأنَّ أعين الجميع ستراقبهم باستمرار، والقِوَى الوثنيَّة والمُضِلَّةُ ستُقاومهم، لذا عليهم مواجهة **تعاليم العالم بأسره**.

لقد أضاء **المسيح** نور نعمته **فينا**. هذا النور انسَكَبَ علينا عندما تَقبَّلنا موهبة **الرُّوح القُدس** في جُرن المعموديَّة، فمساهمتنا الخاصة هي الحفاظ على هذا الضوء حَيًّا وَمُشِعًّا. يجب أَنْ يُؤثِّر النور الساطع في حياتنا، على حياة الآخرين. **المسيح هو نورٌ مُطلق** ، ويقول في الواقع عن نفسه إنه: «نُورُ الْعَالَمِ» (يوحنا٨:١٢). ومثله، **فإنَّ المؤمنين والقديسين أنوارٌ وكواكب**. يكتب **القديس بولس**: «لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً، وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ.» (راجع أفسس ٥:٨). وفي رسالة أخرى، كتب عن المسيحيين، «تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ.» (فيلبي٢:١٥-١٦).

الكنيسة هي نور العالم:

إنَّ **الرَّبَّ** هو بالفعل النور الذي يرشد الناس مِنَ **الضلال** إلى **الحقيقة**، وَمِنَ **الخطيئة** إلى **الفضيلة**، والذي ينير أذهاننا. يعمل المؤمنون أيضًا عمل **المسيح**. وكما يقول أحد اللاهوتيِّين المعاصرين: **ليس** الخلاص شأنًا فرديًّا ولا يقتصر على دائرة ضيقة مِنَ «المختارين». بالأحرى هو مُقَدَّم للعالم كلّه. الخلاص ليس نوعًا مِنَ الرُّوحانيات، بل هو **نقيض النظام الشيطاني، نظام الظلمة والضلال**.

الكنيسة نور العالم. هذا يعني أَنَّ لديها مسؤوليَّة عالميَّة تُغطِّي الكون ويشترك فيها كل واحد منَّا. نحن لا نحيا لأنفسنا **ولا لأي دائرة قوميَّة أو أيديولوجية أو دينية معيَّنة**. نحن نعيش مِنْ أجل **إخواننا وأخواتنا** في جميع أنحاء العالم، بغضّ النظر عن مدى اختلافهم عنَّا أو مدى معارضتهم لنا. أعطى **المسيح لتلاميذه** هذه الوصيَّة المُهمَّة: «تَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال الرسل ١:٨). علينا أَنْ نرفع **نور المسيح** في أقاصي الأرض، يشير **إشعياء** إلى **الآب** الذي يخاطب **المَسِيَّا** قائلًا: « قَلِيلٌ أَنْ تَكُونَ لِي عَبْدًا لإِقَامَةِ أَسْبَاطِ يَعْقُوبَ، وَرَدِّ مَحْفُوظِي إِسْرَائِيلَ. فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أشعياء ٤٩:٦). **المسيح** هو نور الأمم، وَمِنْ خلال المؤمنين تلتزم **الكنيسة** بنقله إلى أقاصي الأرض. الأشخاص الرُّوحيُّون الذين يُطهّرون أنفسهم باستمرار مجاهدين مِنْ أجل **محبة الله**، والذين يتواضعون في اجسادهم بممارسة النُّسك، والذين يملئون أذهانهم بالنور مِنْ خلال الصلاة والدراسة، والذين عرفوا «أسباب الوجود» (**سرّ التدبير الإلهي**)، وتغلّبوا على كل العواطف الدنيويَّة، هم القادرون على التبشير **بالمسيح** ونقل نور الإنجيل، بحسب ما يقول **القديس نيكيتاس**. هؤلاء هم الأشخاص الذين يخاطبهم **المسيح** عندما يقول: «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (متى ٥:١٤).

واجبات المؤمنين:

في ما يتعلق بنقل رسالة الإنجيل (البُشرى السَّارة)، يقع على عاتق القادة الرُّوحيين في **كنيستنا** مسؤوليَّةٌ كبيرةٌ، شأنها في ذلك شأن العلمانيين. **الأساقفة** والكهنة والعلمانيون الذين يعرفون ويعيشون نور الإنجيل، ينقلون خبراتهم للآخرين. مِنْ ناحية أخرى، إذا أظهر أولئك المكلّفون بإظهار **المصباح** تقصيرًا في الإيمان، **فتتأجّل** بشارة الآخرين، وفي الواقع قد تخسر أرواحهم. إنَّ **خطايانا وحياتنا الشخصية غير المقبولة** تؤثّر **بشكل سلبي** على الأشخاص الذين لم يعرفوا **المسيح** بعد. فلنحرصْ على أَنْ نكون ثابتين في القول والعمل حتى **يتّقد نور تعليم الرَّبّ الخلاصي ويَشِعّ باستمرار في جميع أنحاء العالم**.

الميتروبوليت يوئيل فرانغاكوس مطران آداسا وبالا وألمويبا، اليونان.

«وَإِذَا امْرَأَةٌ نَازِفَةُ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ». (متى ٩: ٢٠-٢١). «وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطْ. فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ.» (متى١٤ : ٣٦). «حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى خَارِجًا فِي الشَّوَارِعِ وَيَضَعُونَهُمْ عَلَى فُرُشٍ وَأَسِرَّةٍ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بُطْرُسُ يُخَيِّمُ وَلَوْ ظِلُّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ.» (أعمال٥: ١٥).

عندما تدخل **كنيسة القديس يوحنا الرُّوسي** ترى هوية بسيطة وهزيلة، عصا مشي معلقة أمام **مقام القديس** كغنيمة الظفر. إنَّها تعود **لماريا سياكا، وهي امرأة مسنة مِنْ قرية فرنارو بالقرب مِنْ آموهوستوس في قبرص**. فقد كانت لمدة ثماني عشرة سنة مُحدَوْدَبَةَ الظَّهْرِ ومنحنية على نحو مضاعف حتى أَنَّ المسافة بين وجهها والأرض كانت قصيرة.

في ١١ آب ١٩٧٨ أتى بها أقاربها في رحلة حَجّ، مع بعض المئات مِنَ القبرصيين، إلى **كنيسة القديس يوحنا**. حَمَلُوها لِتَسْجُد **لرفات القديس المقدسة**. وبينما كان تتطلع إلى **الرُفات المباركة** بكت السيِّدة المسنّة وتوسّلت **إلى القديس يوحنا** أَنْ يهبها مساعدة إلهيَّة صغيرة لما تَبقَّى مِنْ حياتها. وقد رأى **القديس يوحنا** عظمة روحها وحزنها وأيضًا إيمانها العميق. وفي تلك اللحظة وأمام أعين جميع الحاضرين، بدا وكأن يدًا غير منظورة أمسكت بأكتافها بقوة هائلة وبدأت تدريجيًّا تُفتِّح جسدها. لقد استقام عمودها الفقري وعاد إلى شكله الأصليّ ووقفت السيِّدة المسنة مستقيمة.

بكى أصدقاؤها القرويون، وَقُرعت أجراس الكنيسة وَقُدِّمت صلوات الشكر مِنْ قِبَلِ الحضورِ الذين لم يستطيعوا أَنْ يمسكوا دموعهم. مَن كان له الحظ أن يرى حصول هذه العجيبة يستطيع أن يفهم هذه السطور.

أخيرًا سُمع صوت **السيِّدة المسنة** قائلة: ماذا أستطيع أَنْ أعطيك يا شابي العزيز ويا قدِّيسي؟ أنا فقيرة. سوف أعطيك عصا المشي التي أملكها التي لَنْ أحتاج إليها لبقية حياتي.

وقد روت الصُّحف اليوميَّة في نيقوسيا: «إنَّ ماريا سياكا بعد رحلة الحج إلى **كنيسة القديس يوحنا الروسي** في اليونان، تستطيع الآن أَنْ ترى وجوه أصدقائها القرويين بعد عشرين سنة تقريبًا من انحنائها حيث لم تكن ترى إلَّا الأرض فقط. **بفضل القديس** قد شفيت وهي بصحة تامة».

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122